رسائل من المنفى

رسائل متبادلة بين

8 آذار 1963 و15 آب 1964

يسرى الأيوبي

يا حبيبتي

كم لمت نفسي على ما أسببه لكم من متاعب شديدة وعلى ما أعرضكم لـــه من أخطار، إلا أنني أعود دوماً وأقول من الأفضل أن أترك لك ولأولادي شـــرفاً واحتراماً بين الناس من أن أترك لك مالاً. وعلى كل حال فإن الأحوال لا تـــدوم، ولابد أن تتغير للأصلح مهما طال الزمن، والعاقبة للمتقين. وإننـــي واثـــق أنـــك تشاركينني، ياحبيبتي، هذا الرأي، وواثق أن لديك من الشجاعة والصبر مايكفينـــا جميعاً أنا والأولاد لنصل في النهاية إلى الوفاء بما تعهدنا به لأمتنا مـــن المثـــابرة على البقاء في صف المخلصين لها.

لقد كنت دوماً وأبداً أحبكم جميعاً أشد الحب، وكنت لا أطيق فراقكم لحظـــة واحدة، وكان لا يهدأ لي بال حتى أسرع بالعودة إلى البيت إليكم. وكم كنت أمتلئ غبطة وسعادة عندما كان الصغار يتراكضون إلى الباب لاستقبالي، وكنـــت أنـــت معهم كل يوم عند عودتي إلى البيت. إلا أنني في هذه الأيام لا أتمكن أبداً مـــن أن أصف لك مقدار حبي وتعلقي بكم. إن الإنسان، ياحبيبتي، يتعلم ويفهم الحب فـــي الأيام الصعبة. وصدقيني ياحبيبتي، إنني الآن أشعر بالندم العميق على كل لحظـــة لم أنتهزها فيما سبق من أيامنا لأؤكد لك ولصغارنا محبتي وعطفي وتعلقي بكم.

لكم أتشوق لرؤية المولودة الجديدة، هذه المسكينة التي أتت فـــي أصـــعب الأيام! لكن مالي أردد كثيراً "صعوبات الأيام"؟ لقد أمضينا فيما سبق أياماً حلـــوة، وأنا موقن بأننا سنصل إلى أيام حلوة جداً في المستقبل القريـــب، أوالأقـــل قربـــاً! وعلى كلٍ فإننا في مركز أفضل من الذي يوجد فيه أعداؤنا وأعداء أمتنـــا، وهـــذا لعمري يكفينا لنصبر قليلاً على "صعوبات الأيام".

كم فكرت في بنيتي الحبيبة سلام، إن صوتها يرن في أذني في كثير مـــن الأحيان، فيتفطّر قلبي شوقاً وحنيناً إليكم جميعاً*. وكم أنا مشتاق إلى ولدي الحبيب يوسف، الذي أؤمن من كل قلبي بأنه سيكون رجلاً بكل مافي هذه الكلمة من معاني الإنسانية. وكلما عاودتني صورة بني الـــصغير الحبيـــب "جوشـــو"** ببراءتـــه وحماسته الطفولية تندفع الدموع إلى عينيّ ويجتاحني شـــوق شـــديد لاحتـــضانه

وتقبيله. كيف أنهى يوسف وسلام دراستهما في العـــام الماضـــي؟ وهـــل أثـــرت الصعوبات التي تمرون بها بسبب غيابي على نتائجهما؟

أرجوك أن تسلمي على الأهل جميعاً وتقبلي عني يـــدي والـــدي العزيـــز، وقبلاتي الحارة وأشواقي إليك وإلى أطفالنا الأعزاء، يا زوجتي الحبيبة.

*عندما حطت الطائرة التي أقلتنا في رحلة عودتنا من منفانـــا الأول فـــي مطـــار دمشق، صعد رجال مخابرات حكومة الانفصال إليها، بحركة مـــسرحية ســـخيفة روعّت الأطفال، ليقتادوا عفيف معهم إلى التحقيق. فانفجرت سلام باكية وصاحت، أمام الركاب المدهوشين، مدافعة عن أبيها بمنطق طفلة لم تتجاوز الـــسادسة مـــن عمرها: "إلى أين تأخذون بابا يا فاشيست؟". وقال لها عفيف وهو يخرج محـــاولاً تهدئتها: "اطمئني يا بابا لن يحصل لي مكروه"، لكن صوت بكائها رافقـــه حتـــى غادر. وحالما خرجوا جرّدوا الطائرة من السلّم ومنعوا أياً كان من مغادرتها! ثـــم عادوا بعد نصف ساعة وأرجعوا السلّم ونزل الركاب جميعاً ما عداي أنا وأولادي. ومضت ساعة طويلة أخرى قبل أن يعود عفيف ويتناول حقيبتنا اليدوية وينزلنا، ثم نقل حقيبتي ثيابنا إلى سيارة تابعة للمخابرات، وقال بأنه مضطر أن يتركنا ليقابل وزير الداخلية (الذي كان يريد منه أن يتعهد بعدم العمل ضد حكومة الانفصال)، وأنه لن يغيب طويلاً، وطمأننا أن السيارة ستوصلنا إلى بيت عمي في المزة. وكما أخبرني عفيف فيما بعد، كان ما قالته سلام وصوت بكائها يعاودانه كثيراً في منفاه الثاني ويرهقان قلبه بالحنين.

**جوشو هو اسم التدليل الذي كنا نخاطب به ابني نضال في بلغاريا مسقط رأسه، وقد أبقيت عليه حيثما ورد لارتباطه الوثيق بطفولته المبكرة تلك.

ياحبيبي

قبلاتي الحارة إليك، لكم نحن بشوق للقاك أنا والصغار.. لقد رقصت سلام يوم سمعت أزيز الرصاص* وقالت: "لعله انقلاب معنا، ويعود بابا إلينا!".. حتى الأطفال أصبحوا يشاركون في هموم الكبار. وأحسست بقلبي يرتجف بين ضلوعي، ولم أستطع أن أرضع الصغيرة.. كنت أسمع صدى ضحكتك الحبيبة ترن في أذني، وأراك في خيالي قريباً جداً مني، ولم أملك دمعي أن يطفر من عيني حين أصبت بخيبة أمل، بالرغم من توقعي لها.**

إنني أعيش وكأنني لا أحيا، وأحس بنفسي ضائعة لا أنتمي الى العالم الذي يحيط بي.. ولم أستشعر الفرح إلا يوم بلغني منك أن أستعد للحاق بك.. ولكن يبدو أن الأمر ليس بالسهولة التي كنت أتوقعها.. إنهم يماطلونني بجواز السفر الذي باشرت به منذ ذلك اليوم.. وكلما ذهب أخي لمراجعتهم قيل له أن يعود بعد بضعة أيام وهكذا دواليك، وحين احتجّ قيل له: "ما عجبك إشرب البحر".. كنت قد كتبت إليك رسالة منذ مدة، ولكن لم يتح إرسالها فأعيدت إلي، وأتلفتها يوم حملة المداهمات والتفتيش، وفيها طلبت أن تبعث إلي إذناً للسماح لي بالسفر إذ بدونه لا يمكن أن تتم المعاملة. ذهبت إليهم بنفسي وقلت لهم: "إنني أريد الذهاب الى لبنان لأؤدي فحصاً بالمراسلة تابعاً لجامعة لندن، ولا يمكنني أن أحصل على مثل هذا الإذن لأنني لاأعرف مقر زوجي"، وأريتهم أوراق انتسابي وبرنامج الفحص. وبدأ التحقيق معي: "أين ستنزلين؟". قلت: "بالعادة أنزل في "هوستيل الطالبات" التابع للجامعة الأميركية أو عند الأقارب". قالوا: "لاحاجة بك لجواز سفر، نعطيك ورقة مرور". قلت: "أنا بحاجة لجواز السفر لأن لي طفلة رضيعة وأريد أن آخذها معي، وأريد في ظروفي أن أتحرر من الارتباط بجواز سفر زوجي حتى لاتعاق دراستي". لكنهم مصرون على عرقلة جواز سفر منفصل لي وللصغار مهما كانت الأسباب التي أقدمها. فهل بإمكانك أن ترسل الإذن؟ وهل تفضل أن يكون خروجي من البلد بشكل رسمي، أو أنني أذهب الى بيروت بدون جواز وهناك يدبر لي واحد بطريقة ما؟

إن الصغار جميعاً بصحة ممتازة.. وهاهم الآن حولي يمثلون، ويوسف يهيئهم ويلقي إليهم بتفاصيل القصة التي اخترعها ويود أن يمثلها، ونضال قد امتطى ظهر حقيبة، والتفت الى أخيه قائلاً: "إياك أن تقترب من حصاني يا يوسف، إنه "معنتر" ولا أحد يقدر أن "يكمشه" غيري".. ولما اقترح يوسف أن يجعله الأميرة الصغيرة رفض الدور غاضباً: "لاأريد أميرة، أريد أن أكون بطلاً وأمشي في الغابة وأخلص الأميرة من الذئب وأقتله "بفردي""..وسلام وقفت أمام المرآة وهي تلف ناموسية التول حولها وتجعل منها ثوباً طويلاً جميلاً.. وصغيرتنا في سريرها تمص أصابعها العشرة.. إن يوسف مغرم بها غراماً شديداً، وكثيراً ما يجلس قربها يحادثها ويقص عليها القصص، وعندما تبتسم وتقول"آغو" يقفز فرحاً ويقول: "ياماما، ان أختي تفهم كل ما أقول".. لقد وازن وجود الصغيرة القوى في البيت وحسّن كثيراً من طبع يوسف على الأخص..

إن سلام ويوسف يدرسان الآن منهج الصف المقبل، ولقد أخبرتني أختك أن مدرسة صيفية قد افتتحت قربهم تعطى فيها الدروس للصبية دون مقابل، وهي تريد أن تأخذ يوسف ليبقى عندهم ويتابع الدروس. وسأرسله خلال هذا الأسبوع وأتفرغ لتدريس سلام..

*محاولة انقلاب الناصريين في تموز 1963.

**إن ما نريده لهذا البلد جلّ أن يتحقق بلغة الانقلابات.. لم أعرف عن انقلاب جاء للبلد بالخير، صراعات قوى عمياء متعطشة للسلطة نحن منها دائماً في عداء.

لقد سألتني كيف أنهيا دراستهما في العام الماضي.. لقد كنت أعلمهما بنفسي، إذ أن المدرسة التي نقلا اليها حدث فيها مرض "أبوكعب" فأغلقت لفترة طويلة، ثم عادا وقدما الامتحان ونالا درجة ممتازة.

ياحبيبي، أذكر الآن كلمات رسالتك الحبيبة التي حفرت في قلبي، نعم سنصل الى أيام حلوة جداً، أحلى من أيامنا الحلوة الماضية.. لقد كنت دائماً أحبك بشغف من يخشى فراقك، من يخشى غدر الأيام. كنت أود أن أجعل من قلبي

وحبي تميمة تحرسك، رغم أنك كنت أحياناً تخطئ فهم عواطفي فأنطوي على نفسي وأخجل من حبي، وكانت صلاتي حين أفتح عيني في الصباح "ربي، أدم علي هذه النعمة التي أنعمت بها علي، واحمه واحم أسرتي من كل مكروه، فأنا لاأطلب من الدنيا غير هذا".. فلا تستطيع أن تتصور حالي اليوم وأنا أجد فراشي خالياً منك، وعندما ينام الصغار وأدلف إلى فراشي أبقى ساهرة أفكر فيك، وصورتك المعلقة تضحك لي أبداً في ضوء الطريق المتسلل من النافذة.. ماأحلى ضحكتك التي أفتقدها! أذكر أيامنا الحلوة وتنهمر دموعي، وأذكر على الأخص لقاءنا يوم العيد.. لماذا كنت حنوناً جداً؟ هل كان قلبك يستشعر هذا الفراق، وأن شهوراً طويلة ستمضي دون أن يرى أحدنا الآخر؟ وأذكر أيضاً لقاءنا الخاطف الأخير وشاربيك "العنتريتين" الذين أطلتهما عمداً، فأضحك. ثم تغبش الصورة في خيالي فلا أدري أين أنت وأين أضعك، ويخيل لي تارة أنك في ضيق شديد في محبسك، فتثور نفسي على وضع يشرّد الشرفاء المخلصين، ويسلّم رقاب الناس للعملاء والانتهازيين.

إن أخبار الأهل فيها ما يفرح وفيها ما يبعث على الأسف.. لقد ترفعت رتبة أختك وأخيك أبي بشار.. وعاد ابني أخيك من إنكلترا في زيارة للأهل.. ولكن فارقتنا زوجة أخيك الأكبر، بعد أن عاد للمسكينة داؤها القديم، وبقيت في المستشفى شهراً، فارقت بعده الحياة.

الجميع بخير يهدونك أحر الأشواق.. قبلاتي إليك ياحبيبي والله يحفظك لي.

ملاحظة: لقد أرسلت إليك بعض الأغراض، وكنت قد اشتريتها لأحضرها معي، وهي روب وألبسة داخلية وقميصين سبور مع قميصين قديمين وجرابات وكرافات وسجاير.

بابا الحبيب

أقبلك كثيراً، أنا مشتاقة لك كثيراً. أحفظ دروسي وأساعد أمي. اشتر لي يا بابا لعبة كبيرة بثياب حلوة.

سلام

بابا الحنون

إنني أحبك كثيراً يا بابا وأقبلك. سأذهب إلى المدرسة الصيفية بكرة. إنني أساعد جدتي في جلب الأغراض من السوق، وأدرس دروسي. اشتر لي يا بابا بسكليت بدولابين، وإنني أشكرك كثيراً.

يوسف

يابابا

أحبك كثيراً يابابا، وأريد أن أكون مثلك. أريد سيارة إطفائية.

نضال

يا حبيبي

لقد حدثني قلبي أننا لن نلتقي قريباً حتى حين كان يؤكد لي غير ذلك.. لقد تألمت كثيراً ولكنني سأكون عند حسن ظنك وأحتمل بصبر هذا الفراق الذي قدر علينا.. ان وضعي على الأقل أفضل من وضعك، فمعي الأطفال وهم يعزونني ويلهونني بمشاغلهم.. ووضعنا معا أفضل من غيرنا.. لقد حمدت الله ألف مرة منذ عهد قريب عندما حضرت محاكمة المتهمين بالإنفصال ورأيت بعيني كيف يتحامل عليهم رئيس المحكمة، ولا يسمح لهم حتى بالدفاع عن أنفسهم، ويهينهم بكلمات نابية في أحيان أخرى، أنك لست بين أيدي هؤلاء الأوغاد.. ليس هناك من عدل ولا احترام للإنسان.. إنها قضية انتقام!..

لقد ذهبت البارحة الى بيت عمي لأسجل الصغار فوجدت أن توقيت التسجيل قد أجل حتى آخر هذا الشهر.. وأحضرت لك معي الكتاب الذي طلبت ولكنني لم أجد سوى النسخة المعارة بالرغم أنني فتشت المكتبة كتاباً كتاباً وأعدت ترتيبها من جديد..

لقد نجحت سلام ونجح يوسف في فحص المعهد الموسيقي لانتقاء تلاميذ هذا العام، وبدا أن لهما أذناً موسيقية مرهفة وخصوصاً يوسف، والتدريس بغير مقابل وسيارة المعهد تأخذهما من البيت وتعيدهما إليه مرتين في الأسبوع منذ الساعة الرابعة والنصف حتى السادسة والنصف. ولقد أخذا حتى الآن بضعة دروس سولفيج وها هما الآن ينسخان دروسهما ويحفظان إملاء النوتات وينغمانها بشفتيهما.. وعندما لاحظ يوسف أنني أكتب لك رسالة قال لأخته "ماذا تفعلين لو جاء بابا الآن؟ فقالت: "أبكي من فرحي وأقبله كثيراً، وأنت؟" فقال لها: "أنا لاأبكي ولكنني أفرح كثيراً، فعيب أن يبكي الصبيان".

إن نضال زائر عند بيت جده إذ أن عمته ألحت علي أن أبقيه هناك بضعة أيام.. إنني حتى الآن لا أزال في بيت أهلي ولكنني في أوائل هذا الشهر سأذهب إلى بيت عمي بسبب قرب المدارس للبيت مما لايتوفر هنا. ورأيت أنه أنسب للصغار ولاستقرارهم النفسي عدم تغيير المدارس لهم كل يوم، وحتى مدرسة

رديئة يستمرون بالتعلم فيها خير من عدة مدارس جيدة يتنقلون بينها.. ومع ذلك فانني لست مرتاحة تماماً لهذا الحل وأخشى أن يحاطوا بجو عدائي أو أن يؤذوا لو حدثت فتنة ما. وعلى كل حال فهذا تدبير أولي. لقد تقدمت بطلبات لتدريس اللغة الإنجليزية فإذا وفقت استطعت أن أستأجر مع أهلي بيتاً أكبر ونقلت الصغار قريباً من السكن الجديد..

صحتي جيدة وكذلك الصغار جميعاً فلا تقلق علينا يا حبيبي.. صحتك وسلامتك واجتماع شملنا هي كل ما نتمناه.. إنني قلقة عليك وكثيراً ما أستيقظ في الساعة الرابعة صباحاً لأفكر بك وأتساءل كيف تعيش وهل أنت بحاجة الى شيء وكيف هي صحتك، وكيف هي معنوياتك حتى تكاد تصبح لي اليقظة الباكرة عادة ملازمة.. الناس هنا يستهزئون بالحكم الذي يضع في قفص اتهام واحدة الناس الذين أبوا أن تكون الوحدة كما تحققت في الواقع فثاروا عليها، والناس الذين يريدون إعادة الوحدة الى ما كانت عليه. وحتى الحكام أنفسهم يشعرون بانعزالهم عن الجماهير.. لقد قالت لنا زوجة أحد رجال مجلس الثورة وهي صديقة قديمة لأختك "إنني أحلم بأنني مشردة أنا وعيالي".. وكل الناس يقولون عن قرب تغير الأحوال ونحن ننتظر وانشاء الله سيكون لقاؤنا قريبا وفي بلدنا.. أقبلك قبلات حارة ودمت والله يحفظك لي يا حبيبي.

يابابا

أنا مشتاق ليك يابابا كثيراً كثيراً كثيراً. كيف حالك يابابا؟ أنا أدرس موسيقى. أوعدك يابابا أني سأكون الأول في الصف دائماً وأطيع أمي وأحب إخوتي وأساعد جدتي يابابا. انشاء الله تأتي بالسلامة يابابا

يوسف

حبيبي بابا

أنا مشتاقة إليك كثيراً كثيراً كثيراً. متى راح ترجع؟ كيف حالك يا بابا؟ أنا سأتعلم (موسقيى)* موسيقى. إنشاء الله ترجع بالسلامة يابابـــا. وســـأجتهد علـــى دروسي وأكون الأولى في صفي.

سلام

ياحبيبي

حنيني اليك لا أستطيع احتماله.. ضائعة من عمري تلك الأيام التي لا أراك فيها ولا أتحدث اليك.. لكم أتمنى لو أبعث اليك في كل يوم رسالة وأسكب على الورق بعض مشاعري.. لكم أتمنى لوأخترق كل الحواجز اليك.. ولكن..! ومع هذا فهناك ما يعزيني عن فراقك.. انني أحس بكبرياء عظيمة وأنا أنصت الى أغنية رائعة يدمدم بها المستقبل، أغنية الشعب الذي ننسج بآلامنا سعادته.. ويهون علي كل شيء، حتى فراقك..

عندما كنا في الضيعة (ضيعة دربل) ولدت كلبتنا ستيلا أربعة جراء ومات منها واحد فبكت عليه سلام أحر البكاء وكانت تسألني بفجيعة وهي تقلبه بين يديها " كيف تحتمل الأمهات يا ماما أن يموت أطفالهن؟" وكانت قد سمعت من فلاحة زارتنا قبل اليوم أنه لم يعش لها من الأطفال العشر الذين ولدتهم سوى بنت وحيدة هي في الثانية عشرة من عمرها ولقد أرسلتها مؤخرا لتخدم في دمشق، فقلت لسلام " لهذا يناضل والدك ياحبيبتي حتى لا يموت الأطفال، ولهذا يفارقنا والدك وهو أشد ما يكون شوقا إلينا"..

قد تكون ياحبيبي مشغول البال بأمر معيشتنا، انني لا أشعر أبدا بأنه ينقصني شيء سوى غيابك، والصغار لا يضيرهم بعض الحرمانات.. انني أهتم بالدرجة الأولى أن تكون صحتهم جيدة، وأحاول جهدي أن أكون مقتصدة حتى لاأكون عالة على أحد لوطال غيابك لا سمح الله، أو اذا اعترضني ما يحول دون سفري اليك.

أظنك ياحبيبي خبّرت من أصدقائنا بأنني أعطيت جواز السفر الا أنهم شطبوا على كل البلاد العربية وبلاد أوربا الشرقية وسمحوا لي ببلدان أوربا الغربية: فرنسا وإنجلترة – النمسا– اسكندنافيا– اسبانيا– ايطاليا– ألمانيا الغربية.. فالى أي بلد تفضل أن أطلب "الفيزا" ومتى؟..ان مفعولها لا يتجاوز الخمسة عشر يوما كما خبرت..

اليوم جمعة والصغار ذهبوا مع أبناء عمهم الى الزبداني، وكانوا فـرحين جدا هذا الصباح، نشيطين في ارتداء ثيابهم. والبارحة عندما وصـلتني رسـالتك أخذت سلام ويوسف يقرآن المقاطع التي تخصهما من رسالتك وأمضيا بعدها وقتا طويلا يكتبان لك، على المسودة، رسالة ويسألانني تهجية بعض الكلمات الصعبة.. أما نضال فلقد زعل وقال: "لماذا لم تشتر لي كتاب "دادا" حتى أستطيع أنا أيضا أن أكتب رسالة لبابا؟ ".

ذهبت والصغار الى المعرض أول البارحة وكنت قد خيّطت لهـم ملابـس جديدة وكم كانوا حلوين بثيابهم العاجية المحلاة بقبات بحرية من القماش الكحلـي وهم يسيرون أمامي ويسترعون انتباه جميع الناس.. وقفت أمام النهـر وسـمّرت عيني في أعمدة النور الملون التي تتراقص في وسطها، وذكرت موقفـا ممـاثلا ويداي في يدك ونحن فرحان بحبنا الوليد ورذاذ الماء يتطاير على وجهينا.. لقـد اشتهيت حينذاك أن يكون لنا أطفال كثر يشاهدون معنا يوما بحيرة النور ويلعبون حولها، وهاهم أطفالنا، فلذات من قلبينا، المستقبل، الخلود، حقيقة أعيشها..

ان صغيرتنا تغمغم في سريرها وهي تضع أصابعها العشر في فمها تريـد أن تعلمني بأن موعد إرضاعها قد حان.. ان حليبي قد نضب تمامـا وأرضـعها إرضاعا اصطناعيا كاملا ولكن صحتها ممتازة، كثيرة الحيوية ولا يراها أحـد الا ويظنها أكبر من عمرها بأشهر.

لم يعد للصغيرة صبر.. إنها تصرخ الآن فالى اللقاء وألف قبلـة لعينيـك الحبيبتين.

ياحبيبي

أقبلك بكل أشواق قلبي.. ها أنذا في بيت عمي، وكم أصبحت عزيزة علـــي تلك الغرفة الصغيرة التي كانت تؤوينا معا.. أحس بك في كل مكان، وأوهم نفسي أنك في زيارة لأصحابك وستعود في المساء لأضمك وأضع رأسي على صدرك.. ان حنيني اليك يزداد يوما بعد يوم وتنهمر دموعي وتبلل وســادتي ولــست أدري ماذا أفعل بنفسي يوم تنحسر هذه الشدة وألقاك.. وكلما ضاقت الدنيا بعيني أقــول "يفرجها الله!"..

ياحبيبي ذهب الصغار الى المدرسة.. ان نضال الحبيــب يكتــب دروســه الأولى ويقول لي وهو يريني دفتره "بكرة بيفرح فيني بابا" لقد وضعته في نفــس المدرسة الذي كان فيها يوسف من قبل وسيارة المدرسة تأخذه وتعيده..

كلنا بصحة جيدة وصغيرتنا تردد كلمة بابا منــذ أســبوع فــي مناغاتهــا وتضرب بقدميها الهواء كمن يسوق دراجة وتضحك بصوت عال عندما نداعبها.. لقد أخذ لها خالها م. فيلما سينمائيا ملونا مع إخوتها والفيلم ناجح جدا وسأبعث بــه اليك عن قريب.. ان بدايته مناظر تمثيلية من قصة قطر الندى وقد قام بها صغارنا مع أولاد الدكتور ش.

اشتريت ليوسف وسلام كمنجة ليتدربا عليها وهي تشغل وقت الصغار مــع دروسهم ولعبهم.

قبلت لتدريس اللغة الإنجليزية في الجامعة بساعات إضــافية لا تــستغرق الكثير من وقتي، والدوام سيكون في مطلع تشرين الثاني وسأبقى في بيت عمــي، فلقد أخبروني بأن طلبا قدم من جميع الفيلات للسماح بالبناء فوقها واقترحت أختك ص. أن نبني ثلاثة غرف فوقها اذا ووفق على الطلب وتكاليفها على ما فهمت لا تتجاوز ستة آلاف ليرة..

ان ابن أخيك الأكبر يعيش معنا.. ووالده يبحث عن عروس وكل واحدة تشترط عليه أن لايبقي عنده صغاره، ونحن ندعو الله أن يوفقه الى واحدة لها قلب طيب تحيط الصغار برعايتها وتحبهم كأطفالها..

ياحبيبي هذه أخبارنا فكيف أنت وكيف صحتك وكيف تشغل وقتك؟ هل أنت بحاجة الى مراجع، الى كتب معينة فأستعيرها لك من المكتبة؟ أعلم أنك في وضع غير مريح وغير طبيعي وأشعر بحدسي أنك لا تستطيع التجول ولعلك لا ترى الشمس خوفا من العيون، ومع ذلك فأنا واثقة من شجاعتك وصبرك وان كنت أخشى أن يتسرب اليك الملل فتغامر بما يسيء الى سلامتك..

لا شيء يبقى على حاله يا حبيبي، وآمل بانفراج قريب. قبلاتي اليك وتحياتي الى الناس الطيبين الذين تعيش بينهم.. الأهل جميعا بخير مشتاقون اليك ويهدونك سلامهم..

الى اللقاء!

ملاحظة: وصلني مبلغ 2000 ليرة قيل لي أنها منك فاستغربت.. ما تفسير هذا؟ أخشى أن يكون هذا المبلغ من أحد الأصدقاء.. انني لست بحاجة الى شيء في الوقت الحاضر ولن أستلمه حتى يأتيني جوابك.. لاتتأخر علي ياحبيبي، ان بالي مشغول عليك.. كان يوم البارحة عيد زواجنا التاسع وفكرت بك طويلا، جدا!..

ياحبيبي،

أقبلك بلهفة، ان قلبي يمنيني بلقائك عن قريب.. في الجو إشاعات والنـــاس يرتقبون أشياء توشك أن تقع.. يقولون أن عفلق يطلب الإلتجاء الـــى الـــسفارات الغربية مع عائلته، وأن العزل المدني سيلغى.. يا حبيبي، وفي أحلامي قلبي مجنح شارد. أفقت فجر هذا اليوم على طائرة تحوم في سماء المدينة وكنت أحلـــم أنـــك عدت وأنني أستقبلك في المطار.. لقد انتابني شعور لم أعهده في حياتي.. شـــوق هستيري.. كنت أبكي بحرقة وأناديك حتـــى خـــشيت أن يـــستيقظ نـــضال علـــى تمتماتي.. كيف تستطيع حفنة من الأشقياء أن تبعدك هكذا عنا؟

الصغار في شوق كبير اليك.. انهم كما تعهدهم مجتهدون.. فيوسف يستطيع بكل سهولة تجاوز صفه الى الثالث.. لقد بعث معلمه منذ أيام دفتر التعـــاون بـــين المدرسة والبيت وفيه ثناء عطر على اجتهاده.. انه يقرأ منهج هذا العام بـــسهولة ويحفظ الأشعار عن ظهر قلب ويحل مسائله دون خطأ، ولا يزعجني شيء منه الا أنه يمزق كثيرا من الأوراق ويعيد كتابتها حرصا على أناقة وظائفه.. وســـلام لا تقل عنه اجتهادا! ولقد حفظت خلال الصيف كثيرا من الـــدروس الاّ أن معلمتهـــا ترهقها بوظائف كثيرة مما يجعل خطها يحمل طابع السرعة والملل. أمـــا نـــضال فلقد انقطع عن المدرسة مدة عشرين يوما بسبب إصابته بـــ "أبو كعـــب" وكانـــت إصابته طفيفة وعولجت منذ اليوم الأول.. وصحته العامة الآن جيدة الاّ أنه تعـــوّد الكسل وأصبح يفضل البيت وهو يبكي كلما وددت أن أعيده الى المدرسة. ولم يفد معه الكثير من المغريات.. ولست أريد أن أضغط عليه ولكنني ســـأحاول عـــلاج أمره بأسلوب ما دون أن يترك أثرا سيئا.. قلت له ليبق في البيـــت كمـــا يـــشاء، ولكنني أخبرته في مناسبة أخرى أن "ديادو مراس" لايعطي هـــدايا الا للأطفـــال الذين يذهبون الى المدرسة.. ولست أدري هل السبب هو غيرة خفية مـــن أختـــه الصغرى أم هو حب شديد لها. انه يريد أن يلاعبها ويضاحكها طوال الوقت ويريد أن يريها بطولته "فيتشقلب " أمامها..

لقد مر الصغار وأنا معهم في الفترة الماضية بأمراض مختلفة ولم أعرف أكان السبب تغير المناخ أو تغيير المطبخ أو أنها أشهر تكثر فيها الأمراض، الاّ أننا تماثلنا جميعا للشفاء وكلنا الآن بصحة جيدة .

وصلتني رسالتان منك.. ولقد كنت في الأولى قلقا من ناحية المبلغ الذي وصلني ومن ناحية عملي.. كنت أعلم يا حبيبي أن المبلغ من أصدقاء لأن من أسلمني إياه هو نفس الصديق الذي تثق به الاّ أنني رفضته حينذاك لأنني كنت أعلم أنه ليس منك فما كنت تحمل شيئا عندما غادرتنا ولأن ما لدي يكفيني.. وعندما وصلتني رسالتك الثانية وعرفت أنه من ثمن نسخ بيعت من كتابك أعيد الي المبلغ فقبلته.. أما من ناحية عملي فلا يشغل بالك علي يا حبيبي.. إنني لا أسمح لأحد بإهانتي أو إثارتي، بل إنني لا أجد لحظة واحدة لمناقشة أحد أي حديث فساعاتي مكثفة وموزعة على ثلاثة أيام ولا أكاد أنتهي من الدروس حتى أسرع الى البيت لأنه يحين موعد إرضاع الصغيرة..

سرني جدا أنك تشغل نفسك ببحث علمي وكم كنت أتمنى لو كنت قربك أستمع الى النتائج التي توصلت اليها.. انها سعادة كبرى أن تتضح للإنسان أمور كان في حيرة منها..

تزوج أخوك الأكبر من موظفة عنده في الدائرة وهي طيبة ومن عائلة حسنة وسنها مناسبة وتعطف على الصغار.. ويبدو أنهما منسجمان.. وأصبح أخوك كثير النكت ينشد الأشعار ويعلو وجهه بسمة السعادة..

في هذا الأسبوع سيسافر أخواي الأكبر والأصغر الى كلية ضباط الإحتياط في حلب، ولم يمكنهما أبدا أن يؤجلا الخدمة العسكرية..

ياحبيبي قبل أن أتم رسالتي زارنا صديقك الذي ساعدنا على السفر في المرة السابقة، وكان قد أمضى بضعة أشهر في الجزائر، وأخبرنا أنه اقترح على ابن بيلا افتتاح مكتب هندسي طبوغرافي هناك، فوجد منه كل ترحيب، وعندما قال له بأنه يفكر في تسليم هذا المكتب اليك أجاب بأنه ليس لديه أي مانع. ولقد قابل

بلقاسم وبو ضياف وولد الحاج وتحدثوا عنك. وقال له بلقاسم "ان بيتي وقلبي مفتوحان لاستقباله". ولقد أعطى هذا الصديق الى أخيك "أبو عمر" شروط افتتاح هذا المكتب ليدرسها، وخلال هذا الشهر سيصل الى سورية وفد جزائري عن وزارة الإقتصاد ووزارة الزراعة وسيقرر هذا الوفد كثيرا من العلاقات بين سوريا والجزائر، ومن ضمنها قضية المكتب.. ولقد وددت أن أعلم فيما اذا كنت ترحب بهذه الفكرة فتذهب الى الجزائر ونتبعك نحن.. لقد انتعشت للفكرة لأنها تجمعني بك وان كنت أتمنى أن لا أبرح سوريا وتعود أنت اليها في ظروف أفضل وأكثر ملاءمة لك.. عندما سألني عنك ذلك الصديق أعلمته بأنني لا أعرف مقرك، وليس لدي أية صلة بك عن طريق المراسلة، ولكن يبدو أنه لا يصدق تماما قولي.. وقال بأنه سيبحث عنك عندما تتم الأمور بنفسه..

هذه أخبارنا يا حبيبي.. الجميع بصحة جيدة وبشوق اليك.. صغيرتنا أصبحت تجلس وحدها وتمسك بالرضاعة و "كشدهان الجدي" "تهبش" كل ما يقع تحت ناظريها..

قبلاتي الحارة اليك يا أحب الناس.. لا تتأخر عني برسائلك، وأخبرني ماذا أقول لو تم افتتاح المكتب، هل أبقى على كلامي السابق أو أنك تقترح علي شيئا جديدا..

الى اللقاء ياحبيبي!..

يا حبيبي

أطبع على ثغرك الحبيب قبلاتي مهنئة بالعام الجديد متمنية أن يكون عاما سعيدا يجتمع فيه شملنا وتفرح فيه قلوبنا وتنفرج الغيوم عن سماء شعبنا.

لقد وصلتني رسالتك يوم عيد الميلاد وكنت في عطلة جالسة مع الصغار أخيط أثواب الكرنيش الزاهية للعبهم.. فلقد أحضرت أغراضنا ما عدا التلفزيون وكان الصغار في عيد وأفرغت محتويات الحقائب ونشرت الثياب في الهواء ثم رششت عليها النفتلين اذ لاحظت أن العث قد أصاب بعض الملابس الصوفية، ولكن طقومك سالمة.. وأفرزت من بين الكتب المخطوطات ووضعتها في مكان أمين عند صديقة أختك.. وكان بين الأغراض علبة كلها زينات وفيها ثوب وطاقية لبابا نويل. ولم أضنّ على الصغار بالفرح فزينت الدار وفي نفسي غبطة كأنما أزين لعودتك، وفي يوم رأس السنة سنزين شجرة وندعو أولاد عمهم الى حفلة صغيرة أعدها بنفسي..

ان أطفالنا جميعا بصحة جيدة متوردي الوجوه وخصوصا الصغيرة فهي آية في الصحة والحيوية وخفة الروح.. ان لسانها كالبلبل تدغدغ به في صحوها وعيناها تبرقان بالفطنة وهي ترقب إخوتها في لعبهم وهي سلوة الجميع في البيت..

سلام ويوسف مجتهدان ذكيان ولست أخشى عليهما أبدا وليتك تستطيع أن تستمع الى سلام وقد انطلق لسانها وهي بين إخوتها وأولاد عمها تقرأ لهم قصصا من كتاب للأطفال دون تلعثم وتفسر لهم ما تقرأ.. ويوسف لا يقل عنها، وها هو جلاؤه المدرسي أمامي وفيه يقول المعلم بالحرف "تلميذ مهذب ومجتهد محب للنظام نظيف ومرتب أمين وصادق، جريء ونشيط، يعتمد على نفسه، جيد المحاكمة وقوي الملاحظة.

أما نضال فان ميوله تختلف، ولقد أولع بالميكانو ولعا شديدا وهو يحب أن يرسم الأعلام ويعرف لأي بلاد تعود ويهتم بالخرائط ويسألني عن أسماء البلاد

ويحب أن يتأمل صور السفن والآلات وكثيرا ما يفتح قاموس اللاروس ويبقى وقتا طويلا ينظر الى ما فيه من صور. وهو مولع أيضا بالقصص ولا ينام دون قصة وفي هذه الأيام حصلت على مختصرات لمسرحيات شكسبير كلها وأقرأ عليهم في كل ليلة واحدة منها.

قرأ الصغار المقاطع التي تخصهم من رسالتك وكان رد الفعل عند نضال أنه صفق وقال ووجهه يلمع بضحكته البريئة "وسيارة الإطفائية كبيرة وبتوسعني اذا ركبت فيها؟"..

ان سلام ويوسف لايزالان منتسبان للمعهد الموسيقي وانتقلا الى فرع البيانو وأصبح بوسعهما قراءة النوتات بسهولة وكتابتها املائيا وهما جيدان في النظري ولكنهما متوسطان في التدريب العملي لعدم وجود بيانو في البيت فدروسهما ينقرانها على الطاولة، ولكنني آمل أن تنفرج الأحوال وتعود وتشتري لهما بيانو، وانني واثقة أنهما سيكونان حينذاك متفوقين.. وسألتني كيف يوفقان بين مشاغلهما المدرسية ومشاغل المعهد فأنت تعلم بأن النظام المدرسي نصفي وفي نصف نهار يكون لديهما وقت كاف لتحضير الدروس وللعب وللشجار أيضا.

أما من ناحيتي فلم تمر بي صعوبة حتى الآن والدروس التي أعطيها ناجحة ولقد طلبت للتدريس في كلية أخرى فاعتذرت لأن نظام تعويض الساعات الإضافية الذي لا يجب أن يتجاوز الثلاثمائة ليرة يقف حائلا بيني وبين القبول كما يقف في طريق غيري ويسبب نقصا كبيرا في الأساتذة في مختلف الفروع. وليس من المستبعد أن أواجه شيئا مما ذكرت الاّ أنني عولت على أن لا أجيب عن أي سؤال ليس له علاقة بالدرس ولكنني أشعر أنه بالرغم أن الوضع ضدنا الاّ أن قلوب الناس معنا، وكثيرا ما ينعكس علي كل ما يحمله لك الناس من احترام وتقدير.. ان لإسمك فعل السحر وحتى أعداؤك لا يملكون النفس من احترامك، والشريف منهم يشعر بالخجل لما يساء به اليك والى رفاقك..

بخصوص الإقتراح الذي حدثتك به سأرسل اليك عن قريب بكل المعلومات وبكل جديد. ولقد بعث أخوك الى صديق لك كان أستاذا في الجامعة وسافر للعمل

في الجزائر برسالة يستفسر فيها عن الوضع وعن إمكانية دخولك الى هناك وايجاد عمل لك. أما من ناحية المشروع نفسه فيبدو أن صديقك التاجر قد فتر حماسه نحوه بعد أن تبين له أن في الأمر مغامرة لوجود مادتين خطرتين في نص الإتفاقية.. لقد أخبرني بهذا أخوك وأضاف أن هذا لا يعني بأن المشروع قد مات وقد يجدون طريقة للتفاهم..

سأبعث اليك برسالة أخرى عندما يصلنا جواب من الجزائر. ولعلي في هذه الفترة أكون قد حصلت لك على جواز سفر، وحتى لو لم أستطع فإنه يمكنك الذهاب الى هناك "بفيزا" اذا وافقوا على دخولك الجزائر.. غير أن عمي يطلب اليك التريث بالأمر لأنه لا يثق بابن بلا.. فما رأيك أنت به وهل تأمن له؟ وبالرغم من أن لك خدمات كبيرة للجزائر في السابق الا أن ابن بيلا هو الديكتاتور هناك وطباعك لاتحتمل الديكتاتوريات، ولا تجوز المغامرة دون ضمانات.. والجو يشير الى انفراج في سوريا، وكل الناس يقولون بأن الأمر لن يدوم، وما انعزل حكم كما هو معزول اليوم، وتتردد في جميع الأوساط عن وجوب تأليف جبهة وطنية.. فلعل النهاية الى خير.

تغير الطقس في سوريا وكنا لا نشعر بالشتاء حتى هذا الأسبوع.. ان الهواء تلجي ولسنا نشعر بالدفء ابدا.. أما المواد المعيشية الأخرى فلا تنقصنا..

أبلغت سلامك الى الجميع وهم بدورهم في شوق بالغ اليك والى لقائك وليس لنا من حديث سواك. ومنذ أيام ضمنا مجلس وأمضينا السهرة في تذكر نكاتك في المحكمة..

الصغار يقبلونك بشوق ولقد كتب كل منهم رسالة خاصة اليك.. قبلاتي اليك ياحبيبي ودمت.

بابا الحبيب

أنا مشتاق اليك يابابا كثيرا كثيرا أشواقي اليك يابابا انني مجتهد في دروس المدرسة ودروس المعهد الموسيقي. كتب لي المعلم في سجل العلامات جيد

في القراءة وفي الحساب وفي الدين وفي اللغة العربية وفي العلوم والأشغال وفي النشيد والموسيقى وفي الرياضة وسلوك جيد وقال لي المعلم ثابر على تقدمك واجتهادك في دروسك. والمولودة الجديدة اسمها رفاه وتقول: دقعو.. دقعو.. دقعو. وتقول: دادا بابا ماما وتقول: ناغ.. ناغ.. ناغ..

يوسف

يابابا الحبيب

أنا أحبك يابابا وأعدك أن أذهب الى المدرسة

نضال

يابابا الحبيب

أنا مشتاقة اليك يابابا كثيرا انني مجتهدة في دروس المدرسة وفي المعهد الموسيقي.

والمولودة الجديدة اسمها رفاه وتقول: دقعو.. دقعو.. دقعو وتقول: بابا – ماما وتقول: ناغ ناغ..

ان سجل علاماتي لم يجيء ولكنني مجتهدة في كل موادي ولقد وضعتني المعلمة في لجنة فنون الرسم. وانني أحب الموسيقى كثيرا ولكن أحبك أكثر من الموسيقى يابابا الحبيب.

سلام

حبيبتي

قبلاتي الحارة وأشواقي الكبيرة اليك والى أطفالنا الأعزاء. وبعد فقد فرحت كثيرا برسالتك الأخيرة واطمأن بالي. وأكثر ما أفرحني هو أن الأطفال كلهم بخير وأنك ناجحة في عملك، كما أن احتفالكم بعيد الميلاد سرني كثيرا حتى لكأني معك ومع الصغار. فكل سنة وأنت والأطفال والأهل بخير ياحبيبتي.

وأما من جهة السفر الى الجزائر فأنا لا أظن بأن هنالك ما يوجب الخوف، اذ لاعلاقة لي بمشاكلهم. أضف الى هذا أنني ان ذهبت الى هناك فسوف لا أتدخل في شؤونهم لأن هذا ما تفرضه علي قوانين الضيافة. وقد قلت لـــي أن صـــديقنا التاجر قد فترت همته، الأمر الذي كنت أتوقعه لأنني أعرف فيه التردد مع طيبته اللامتناهية. لكنني كنت ذكرت لك بأن مشروعه غيرضروري لسفري الى هناك، لأن باستطاعتي أن أعمل مدرسا للعلوم الرياضية أو الطبيعية. وأنا فـــي الواقـــع أفضل هذا العمل الأخير على المغامرة بأموال الغير في وسط لا نعرف عنه شيئا. ومع ذلك فانني مثلكم أنتظر الفرج في بلدنا وهذا أفضل حل بطبيعة الحال.

وأرى أن تسعوا من جهة أخرى الى استرداد رواتبي، وأظن بأن بالامكان تدبير هذه المسألة بطريق من الطرق: عن طريق الاتصال ببعض أصدقاء الحكام أو ما شابه. وان صديقي الذي يحمل اليك رسائلي يتمكن من دراسة هذا الموضوع وتدبير طريق للسعي الى ايجاد حل له. فاذهبي اليهم ياحبيبتي وبلغـــيهم تحيـــاتي. واسأليهم رأيهم في هذا الموضوع وتدبير طريق للسعي الى ايجاد حل له. فبالجهود المتضافرة قد يمكن التوصل الى نتيجة ايجابية.

ان البرد على غير العادة شديد حيث أوجد الآن. ومما يجعل الأمر صـــعبا هو اضطراري الى البقاء في غرفتي طيلة الوقت. الاّ أنني كما قلت لـــك أتـــسلى بكتابة الموضوع العلمي الذي أخبرتك عنه. وانني أتقدم في كل يوم في هذا البحث الذي عولت على العمل فيه المدة اللازمة التي أظن أنها ســـتطول. فهـــو متفـــرع ومتشعب ولا بد من وقت طويل للنظر في كل تفرعاته. الا أنني نجحت في ايجاد الطريق الجيد فيه، ولا يبقى بعد هذا الا المثابرة.

وكتبت في هذا الأسبوع مقالا حول موضوع الأردن ووقعته باسم "جـــورج أيوبة" ولعل الصديق يتمكن من تزويدك بنسخة من الجريدة التي ستنشره. ولعله لا يتمكن لأنك تعرفين أن الجرائد الشريفة ممنوعة في هذه الأيام.

وأنتظر دوما رسائلك وأخبارك بفارغ الصبر، وليس بوسعي أن أصف لك مبلغ ما تدخليه على نفسي من سرور برسائلك هذه. ولكم فرحت أيـــضا بنجـــاح الصغار في مدارسهم. ثم انني كثيرا ما أتخيل حبيبنا نضال وهـــو منكـــب علـــى القاموس اللاروس الذي أصبح في هذه الأيام أعز كتـــاب علـــي. الا أنـــه يجـــب تشجيعه على الدوام كي يعود الى مدرسته.

لم تخبريني كيف استقبل الأطفال لعبهم. لاأشك أبدا أنهم فرحوا بها كثيـــرا. وأظن بأنهم تشاجروا كثيرا أيضا واختلفوا على "اقتسامها"!.. وهل سلام لازالـــت تحب "النتوسات" أم أنها أصبحت في سن تخف فيه هذه الرغبة الـــى مثـــل هـــذه الألعاب؟ وجوزيف كيف استقبل لعبه؟ لعله اهتم بالأشياء الأخرى أكثر من اهتمامه بتلك اللعب. وختاما أبثك أشواقي الحارة وقبلاتي. وأرجو أن تقبلي الصغار عنـــي جميعا وأن تهدي سلامي الى جميع الأهل مع تقبيل يدي والدي العزيز.

حبيبتي سلام

أنا مشتاق اليك يابنيتي الصغيرة الحبيبة كثيرا جدا جدا. وسررت كثيرا لأنك مجتهدة في دروسك وفي الموسيقى. وسررت أيضا لأن خطك نظيف وجميل ومرتب. وفرحت لأن المعلمة وضعتك في لجنة فنون الرسم. فداومي على اجتهادك دائما لتكوني من البنات المحبوبات.

وماذا تقول رفاه؟ دقعو .. دقعو .. دقعو وناغ.. ناغ.. ناغ؟

أقبلك كثيرا يا حبيبتي الصغيرة

أبوك.

حبيبي يوسف

أنا مشتاق اليك ياولدي الحبيب كثيرا جدا جدا. وقرأت ما كتبه لك المعلم. عافاك ياشاطر. أنت ستكون رجلا ناجحا دائما. وفرحت لأنك مجتهد أيضا في الموسيقى. وكيف حال المولودة الصغيرة ؟ اسمها رفاه؟ وتقول دقعو .. دقعو .. دقعو وناغ.. ناغ.. ناغ؟ ونضال ماذا يقول؟

أقبلك كثيرا ياولدي الحبيب

أبوك

حبيبي نضال

أنا مشتاق اليك كثيرا ياولدي الحبيب. هل ذهبت الى المدرسة؟ سأشتري لك سيارة الاطفائية. سيارة كبيرة جدا تركب فيها أنت. وسأشتري لجوزيف بسكليت بدراجتين ولسلمى لعبة كبيرة جدا. ولرفاه سأشتري لعبة تقول: ناغ.. ناغ.. ناغ..

أقبلك كثيرا ياولدي الحبيب

أبوك

ياحبيبي

بشراي اليك ياحبيبي، لقد أصدرت محكمة الأمن القومي قرارا بمنع محاكمتك أنت وأكرم.. وتأكدت من الخبر فوجدته صحيحا.. لقد غدت أيام اللقاء قريبة.. ياحبيبي، يا أعز الناس لدي.. انني لا أصدق أن هذا سيحدث فعلا لكثرة ما تألمت.. وأحيانا يخامرني الشك أن يكون في الأمر خدعة.. فكن حذرا ياحبيبي.. ان أختك تقول لي يجب أن يتريث، ولا يؤمن ظهوره مادام في قيادة الجيش موتورون يتربصون بنا الدوائر.. وانني أفضل أن تذهب مؤقتا الى بيت أهلي أو الى بيت صديقك الذي يحمل الي رسائلك (انتقل من بيته الأول) أو الى أي مكان آخر تراه مناسبا حتى ترى كيف تتطور الأمور وفيما إذا كانت حقا في سبيل جبهة وطنية وحكم ديموقراطي لمجابهة المخاطر الجديدة، ومشاركة فعلية لجميع القوى الوطنية.. لأنني لم أسمع بأن منع المحاكمة سيرفق برفع العزل المدني.. ولكن هناك إشاعة كبيرة بأن هذا الأمر سيرفق برفع العزل المدني.. وهناك شائعة كبيرة بأن هذا الأمر سيتم عن قريب وبالنسبة للجميع..

لم يصلنا أي خبر حتى الآن من الجزائر ولكنني سمعت بأن صديقك الذي يعمل هناك سيعود الى دمشق اذا رفع العزل المدني وما يقال بأنه استلم عملا كبيرا هناك براتب كبير هو من قبيل الإشاعات وإغاظة صديقه الذي يغار منه.

أظن أنه لم يعد من الضروري أن أسعى الى استرداد رواتبك التي قطعت عني. ستعود يا حبيبي وتستردها بنفسك، وفي هذه المرة أريد أن ألح عليك لتشتري لنا بيتا بالتقسيط، فلقد تعذبت كثيرا في غيابك وأنا أنتقل بين البيوت، وان كانت بيوت أحبة، وفي قلبي خوف من مستقبل مجهول لا أقوى على مجابهته وحدي، وأحمل معي الحقائب التي لا تفرغ والصغار الذين لا يشعرون بالإستقرار..

تسألني كيف استقبل الصغار لعبهم. لقد كسروا قفل السلة لأنهم لم يقووا أن ينتظروا كي آتيهم بالمفتاح الذي كنت نسيته في بيت أهلي، وفردوا اللعب ملء الصالون.. وكان شوق سلام الى "تنوساتها" كبيرا.. فسنها هو السن الذي يكون فيه

اهتمامها باللعبة على أشده وتعبر فيه بالعطف على لعبها عن شعور الأمومة الكامنة عندها.. أما بالنسبة ليوسف فلم يكن بين اللعب مايغريه اذ أنه تجاوزها، فاستولى نضال عليها كلها.. والبسكليتين كسرا خلال أسبوع، أحدهما كسره ابن الجيران، والآخر وقع به نضال فانكسر فحمدت الله أنه لم يعد هناك ما يغريهما بالخروج الى الشارع والتعرض للخطر.

جميعنا الآن بصحة جيدة.. ومنذ أسبوع لقحت الصغيرة للمرة الثانية باللقاح الرباعي، ولعلها في نفس اليوم التقطت مرض الحصبة من عيادة الطبيب.. وعانت المسكينة كثيرا ولكنها تماثلت للشفاء وزال عنها الطفح اليوم وهبطت حرارتها وعادت شهيتها اليها، ولكن القشور لا تزال معدية حتى أسبوع آخر ولهذا أرسلت نضال الى بيت أهلي لأنه لم يصب من قبل بهذا المرض وأخشى عليه العدوى..

قالت لي أمي منذ أيام ان هذا العام عام خير علينا جميعا وستكمل فرحتنا حين عودة "أبو يوسف".. وها هو رجاؤها سيتحقق.

ان أخي م. اشترى بيتا على العظم وهو يكمله بنفسه الآن، وأختي خطبت الى معلم من حلب وكذلك أخي الصغير خطب أخت الشاب، وأخي هـ. سيعفى من العسكرية ويعود.. وأهلك أيضا جميعهم بخير.

يا حبيبي لم أقرأ بعد المقال الذي نشرته ولكن الصديق وعدني بتزويدي بنسخة من الجريدة التي ستنشره.. ذهبت الى زيارتهم حين سمعت بالخبر لأتأكد منه فأخبرني أن الأمر صحيح واستغرب معرفتي به لأنه كما يعلم أن الخبر لا يزال في نطاق سري. وكانت رسالتك قد وصلت لتوها حين دخلت وفرحت بها فرحا لا يوصف.. جزى الله هؤلاء الأصدقاء الذين يحملون رسائلنا كل خير.. ان تلك اللفافة الصغيرة على ورق شفاف هي أجمل هدية تهدى الي ولقد خففت عني كثيرا الأيام العصيبة التي مرت والقلق الذي لا يحتمل.

اليك قبلاتي الحارة يا حبيبي.. إننا ننتظرك بشوق كبير أنا والصغار وأهلنا والأصدقاء. ان عودتك اليوم سيكون لها صدى مختلف عن الصدى الماضي عندما

أغرقنا الأوغاد بالأكاذيب.. فيها انفراج لمشاعر الناس.. وبالرغم أن هؤلاء أيضا يكذبون كمن سبقهم الا أن الناس لم يعودوا يصدقون.. سمعت أن فهد الشاعر عاد من العراق يقول "كيف لنا أن نتغلب على الأكراد وهنـــاك جنـــرالان يحاربانننـــا: البرزاني والبزري".

هذا ما عندي ياحبيبي وأنا بانتظار عودتك على أحرّ من الجمر.

حبيبتي

أقبلك بشوق كبير وبعد فهذا يوم العيد. فكل عام وأنت وأطفالنا وأهلنا جميعا بخير ياحبيبتي. وقد سرتني رسالتك الأخيرة التي تخبريني بها بأن عفوا قد صدر عن الملاحقين. الا أن الأمور كما يبدو عادت الى التلبد، اذ قرأت في الصحف أن الذي أصدر العفو عنه عاد واختفى من بيته لتجدد ملاحقته. ولا عجب في هذا وكنت أنتظره لما يتصف به هذا العهد من عدم استقرار وعدم مسؤولية. ومن جهة أخرى تدل الدلائل على أن الاتجاه العام يسير نحو الانفراج بالنسبة الى الشرفاء. اذ ليس بإمكان الأوغاد أن يطيلوا عهد كذبهم ودجلهم على الناس أكثر من هذا، وليس بامكانهم أن يقنعوا أحدا بجدوى العمالة للاستعمار الذي يكشر عن أنيابه في هذه الأيام ويظهر بشكل واضح طبيعته الوحشية وعداوته لكل تقدم وكل استقرار في بلدنا. وان اضطرار الحكام في هذه الأيام للتظاهر أمام الناس بالوقوف ضد الاستعمار، وخاصة منه ذلك الاستعمار الشرس الوحشي الذي هو الاستعمار الأميركي الجديد يدل على أمرين: الأول هو أن هؤلاء الذين رضي عنهم هذا الاستعمار ومكّنهم من الحكم ضمن شروط اشترطها عليهم عندما تآمر معهم على بلادنا، يجدون أنفسهم الآن عاجزين عن الوفاء لهذا الاستعمار بما تعهدوه له لفداحة الثمن. ولأن الذي تعهد لايملك الكثيرين من أعوانه وأنصاره الذين يتبعونه عن حسن نية وسلامة طوية، والذين لايوافقون بلا شك على تنفيذ تلك العهود التي كان تعهد بها قادتهم للمستعمرين والتي هي والخيانة صنوان. والثاني هو شعور هؤلاء الحكام بأن الأرض تميد من تحتهم فلا بد من إرضاء الناس ولو بموقف يتظاهرون به أنهم ضد هذا الاستعمار الذي أوصلهم الى الحكم، أو الذي يمكنهم من الحكم كل هذه السنين الطويلة. ولكن هيهات لهم أن يستمروا طويلا في خداع الناس والأيام تمر بتلك السرعة الهائلة والتاريخ يتغير مع هذه الأيام، وأيام الحساب تقترب بسرعة حيث لا بد لهؤلاء الدجالين عندئذ من أن يفسروا للناس أسباب الكوارث التي سببوها لأمتنا. والاستعمار من جهته لايرحم عملاءه، فهو يلاحقهم بديونه التي في ذمتهم وهو أبعد ما يكون عن الكرم. وصياح هؤلاء الدجالين في هذه الأيام ضد أميركا يدل بوضوح على أن هذه الدولة المستعمرة عندما صرحت بلسان رئيسها وبلسان غيره من رسمييها انما كانت تذكر هؤلاء

الحكام بأفضالها عليهم، وتذكرهم بتعهداتهم تجاهها لقاء مسايرتها لهم في الوقت الذي لايستطيع هؤلاء الاستمرار في الدجل لفداحة الثمن المطلوب الذي لايمكن دفعه بنجوة من عيون الناس وانتباههم: انها فلسطين برمتها مع نهر الأردن برمته، فماذا عساهم يفعلون لإخفاء هذا الثمن؟

ومما لا شك فيه أن بين الناس الذين ساعدوا ويساعدون هؤلاء الحكام كثير من الشرفاء الذين لا يرضون أبدا بالهبوط الى هذا الدرك. وكل يوم يمر يدرك هؤلاء الناس مدى الجرائم التي ارتكبت بحق أمتهم من قبل الذين استغلوا مساعدتهم. فيحقدون عليهم أكثر بكثير مما نحقد نحن عليهم لأنهم غرروا بهم وورطوهم في هذا الطريق القذر. وفي كثير من الأحيان تصدر مقالات وتذاع من راديو دمشق تعليقات لاتختلف أبدا عما كنت قلته أنا وكتبته بحق الاستعمار الأميركي فيصفون الاستعمار تماما بالأوصاف التي وصفته بها. وخاصة تلك الفكرة الأساسية التي كنت طرحتها والتي تتلخص بكوننا أمام جملة استعمارية معقدة وكاملة تغطي سطح الكرة الأرضية في القسم المتخلف منها، وبكون اسرائيل عنصرا من عناصر هذه الجملة لا أكثر. وبأننا لسنا أمام استعمار كلاسيكي كالذي كان فيما مضى وانهار الآن ولم يبق له أثر، على الرغم من صياح بعض حكامنا الذين يحاولون التستر على كل هذه الجملة الاستعمارية الحديثة الضخمة بتوجيه أفكار الناس الى استعمار موهوم لم يعد له وجود.

وبعد كيف حال صغيرتنا؟ هل شفيت من حصبتها وزالت عنها كل آثار هذا المرض؟ وكيف حال حبيبنا نضال؟ وهل ما يزال في البيت أم أنه قرر أخيرا أن يذهب الى المدرسة؟ فالعام القادم على الأبواب. وسيكون في السن التي يجب أن يذهب فيها الى المدارس الحكومية. يضاف الى هذا أن دوامه في هذا العام في روضة الأطفال يساعده كثيرا في بدء حياته الدراسية بداية حسنة كما كان عليه الحال بالنسبة الى أخيه جوزيف. فنجاح حبيبنا يوسف في هذه الأيام يعود بقدر كبير الى تلك الشهور القليلة التي داوم فيها على تلك الروضة. فيجب اذن ياحبيبتي أن تجدي وسيلة، ولكن لينة لاقناع ولدنا بالذهاب الى المدرسة. وكيف حال سلام وكيف كانت علاماتها؟ وكيف حال يوسف وكيف صحته؟ وكيف حالك أنت

ياحبيبتي في صحتك وعملك؟ لقد مرت أيام شديدة عليكم في هـذا الـشتاء. الا أن الربيع أخذ يطل بابتسامته، ونأمل أن تكون ابتسامة مشرقة تبدد كل الغيوم.

لقد سرتني أخبار أهلك كثيرا فأقدم اليك واليهم كل تهاني وأرجوك أن تبلغي والدتك العزيزة وشقيقتك وشقيقك تهاني الحارة بالخطبتين. وتهاني أيضا بالبيـت الذي اشتراه شقيقك. كما أنني أرجو أن يكون شقيقك الآخر قد عاد من "الخدمة".

ولا أعلم اذا كان صديقنا الذي يوصل اليك رسائلي ما زال في عمله الـذي تركته فيه، ولا أعلم ماذا حل بدراسته ودراسة زوجته المحترمة، وانني أرجو أن يكونوا بخير من كل هذه النواحي. ثم كيف حال الدكتور الذي كان يشرف علـى صغارنا؟ وهل لازال في دمشق؟ أرجو أن تبلغي كل هؤلاء أحر تحياتي.

أما ذلك الغيور الذي ذكرته لي، فقد تكشف في آخر الأمر عن شخص تافه أناني. وفي الواقع كنا نظلم رفيقه الذي ذهب الى الجزائر بسببه. اذ شـتان بـين الاثنين، شتان بين الرجل الذي أعطى نفسه للخير وبين الأناني الحـسود طويـل اللسان. ثم ان بعض ما يصيبنا هو بسببه وبسبب طول لسانه وبسبب حسده.

وأخيرا هاهو العام ينصرم تقريبا على فراقنا، فصبرا يا حبيبتـي ولا بـد للشمس من أن تشرق بأجمل مما كانت تشرق به علينا. وقبلاتـي الحـارة اليـك وأشواقي التي لامزيد عليها لك ولأطفالنا الأعزاء. وأرجوك أن تبلغي سلامي الى أهلنا جميعا وأن تقبلي عني يدي والدي العزيز والى اللقاء القريب.

ياحبيبي

أضمك الى صدري وأقبلك بكل حنان قلبي.. اليوم عيد ولكنه ليس عيدي.. أفقت على ذكرك ودمعت عيناي.. وقمت متثاقلة من فراشي وقلبي تعصره الكآبة.. عام كامل لم نرك فيها ياحبيبي.. والصديق الذي يحمل الي رسائلك مسافر ولا رد منك يطمئنني عنك.. لعلك خبرت أن أمر منع المحاكمة كان استدراجا.. لقد حاولوا اعتقال أكرم، ويقال أنهم يبغون اغتياله.. فالقوة التي هاجمت بيته كما سمعت كانت قرابة خمسين رجلا ملثمين. لقد كان تريثك في العودة في غاية الحكمة، والناس الذين كانوا متحمسين لعودتك في الحال عرفوا الآن أن لاشرف لكلمة من باعوا شرفهم وضميرهم ولا أمان لجانبهم.

الصغار فرحون بالعيد، بأثوابهم وعيدياتهم ولعبهم وانطلاقهم الى الدكاكين مع أبناء عمومتهم لشراء ضوء الليل والطقاطيق.. وصغيرتنا قد نبت لها سنان وبدأت زحفها وحيويتها تشغل الجميع وما أحلاها وهي تمد يديها الصغيرتين الى أخيها يوسف وتناديه بنغية فيها رجاء وضحك وبكاء ليحملها ويدور بها كعادته فاذا فعل أخذت بالضحك والدغدغة حتى تشرق الغرفة بضحكها وتنتقل عدواها الى الجميع.. ونضال لاأجمل منه ولا أحلى من براءته ووثوقه من نفسه واستغراقه في لعبه.. منذ ليال بنى بارجة من بانيو أخته والسلة والمكعبات والعلب، ثم جاء لينام قربي وذكر فجأة أنه نسي "صفارته" في بيت عمه. ونهض من الفراش وأخذ يبكي. وكان جميع من في البيت قد أووا الى الفراش. وأفاق عمي وسأله مابه، وكان يصرخ "صفارتي ياجدو، نسيتها في بيت عمي" فيسأله عمي الذي ظن أنه يتوجع من ألم ما " مابك هل تؤلمك صرتك؟" فيقول له "صفارتي " وهكذا حتى أدرك عمي الأمر على حقيقته فغيظ وعنفه وأرسله الى فراشه.. وكان يغمغم بصوت منخفض "الباخرة تريد أن تسافر وليس عندي صفارة لأنبه الركاب" وسألته من هم الركاب؟ ولكنه لم يرد علي ولم يلبث أن أغمض عينيه واستغرق في النوم.. سلمى أخذت جلاءها قبل العيد وكانت جيدة في كل المواد ويوسف بعث الي مديره بهذا التعليق في دفتر التعاون "يجب أن تعلموه الصلاة لأنها نور"

بعث أخوك أبوعمر بطلب الى المجلس الوطني لاسترداد رواتبك فجاءه الجواب بالرفض، وهذا دليل آخر على سوء النية لديهم.. وانتقل أخوك أبو بشار الى دمشق وهو عندنا منذ شهر ريثما يستلم بيته وينقل عياله.. واشترت أختك تلفزيونا والصغار الآن في غرفة الضيوف ملتفين حوله يشاهدون صلاة العيد.. وعمي في غرفته يصلي وأسمع ابتهالاته وهو يدعو الله أن يجمع شملنا بك عن قريب.

قرأت المقال الذي كتبته.. انه قيم جدا وأتألم كثيرا لأنه لاينشر على نطاق واسع في هذه الظروف التي تشوه فيها الوقائع، ويخفف كثيرا من خطر تحويل مجرى الأردن، وتصرف فيها أنظار الناس الى مخاوف فتنة طائفية داخل البلاد.

نحن الآن في عطلة ولدي ما يقرب من عشرين يوما أتفرغ بها لصغارنا الأحبة.. أنتظر أخبارك بلهفة.. قبلاتي اليك ودمت لزوجتك.

حبيبتي

أقبلك بشوق لامزيد عليه وأبثك وأبث صغارنا كل ما في قلبي من حـــب لا يوصف. وبعد فكم سررت برسالتك الأخيرة التي خففت عني كثيرا مما أنا فيه من هم وانشغال بال عليكم. أما من جهتي فلا تقلقي علي أبدا ياحبيبتي وان تأخرت في بعض الأوقات مضطرا من الكتابة اليك. فلا بد أنك تدركين أن اتصالاتي بالـــذين ينقلون اليك رسائلي محدودة. كما أنه ليس باستطاعتي مغادرة غرفتي للبحث عنهم فاضطر اذن لانتظار الفرص للكتابة اليك. ومع ذلك فلا بد وأن تكوني قد استلمت رسالتي السابقة التي أرسلتها اليك يوم العيد. أما أنت ياحبيبتي فيمكنك أن توافيني بأخبارك وأخبار الأولاد والأهل في الوقت الذي تشائينه، وان هذا ليملأ قلبي سعادة ومسرة.

ولقد كان من الطبيعي أن أتريث في المجيء اليكم يوم ســـمعت نبـــأ منـــع المحاكمة، لأن من يحكم الآن في بلدنا هم الاستعماريون الأميركان والانجليز من وراء ظهر القوميين السوريين والعفالقة وكل جوقة المرتزقة. ولهذا السبب أيـــضا كنت وما أزال أنبهك الى عدم الانزلاق الى أي حديث أو غيره مما يعطي فرصة لهؤلاء الأوغاد السفلة للتنكيل بنا. الا أن هذا لن يطول أبدا ولا بد لشمس الحريـــة من أن تشرق على بلدنا من جديد، فلقد تعب شعبنا من الـــدجل والـــدجالين ومـــن الخيانة والخونة. وانه لشرف كبير لنا أن نتعذب ونتألم ونلاحق في الأيام الحالكات التي تمر في وطننا: وانني موقن بأن اليوم الذي تصبح فيه هذه الأيام السود مـــن ذكريات الماضي ليس ببعيد، وعندئذ سنسعد مع الآخرين من أبناء وطننا وسنشعر بالاطمئنان وراحة الضمير عندما سنلتفت الى الماضي ونتذكر ما يمر بنا الآن وما نصبر عليه الآن. اننا ياحبيبتي نقف في صف الطلائع التي تخوض أعنف معركة وأكبرها ضد أشرس وألأم وأقوى عدو للانـــسانية وللحريـــة، ضـــد الاســـتعمار الأميركي الذي يقود الرجعية العالمية المعاصرة.. واننا نقف في صف الطلائع هذا في منطقة هي من أدق وأخطر المناطق حساسية في هذا العالم، في منطقة البترول الذي يستميت الاستعمار الحديث في سبيل استخلاصـــه مـــن المخالـــب الـــسوداء للمستعمرين القدامى، وفي سبيل طرد هؤلاء وأولئك الى الأبد من ديارنـــا. فهـــل

يوجد مكان أشرف من هذا المكان نضع أنفسنا فيه؟ وهل يوجد لقب أشرف وأجمل من لقب "عدو الاستعمار والرجعية وكل أنواع الانتهازية" يسعى الانسان لنيله بصبره وثباته؟ نعم لقد ذقنا الأمرّين ومرت بنا صعاب ومخاطر كبيرة الا أن هذا ثمن عادل علينا أن ندفعه عن طيبة خاطر لنكون في ذلك الصف، صف الطلائع التي تشن أكبر معركة تاريخية ضد ألأم عدو للانسان في تاريخ الانسان.

انك ياحبيبتي تذكرين القصص والأفلام التي رأيناها سوية مع أطفالنا، القصص والأفلام الخرافية التي تبين الوسائل الجهنمية التي يسلطها أعداء التقدم ضد الشعوب، كقصة التنين مثلا الذي ينفث النيران والدمار من فمه ومنخريه فيحرق ويدمر ما يبنيه الانسان، وتذكرين كيف أن هذا الانسان بصبره وجلده تغلب على هذا التنين وجعل منه في نهاية الأمر خرافة تصلح موضوعا لذلك الفلم الذي رأيناه. فالاستعمار الأميركي الذي نتشرف اليوم بمصارعته هو أيضا تنين، ولكن ليس كغيره من جماعة التنين التي عرفها الانسان من قبل. فهو لا ينفث النار والدمار من منخريه فحسب، ولا يدمر بضعة قرى ومزارع فقط. ولا يهلك بضعة آلاف من الناس، وليس هو مجرد قطعة حديد سخيفة كتلك التي رأيناها تقوم بدور التنين، بل انه ينفث القنابل الذرية والهيدروجينية من شدقيه ومنخريه الرهيبين وباستطاعته تدمير الكرة الأرضية برمتها لولا عشرات ملايين الناس الشرفاء الماسكين بتلابيبه بصبر وجلد. وهو في غاية الخبث والمكر والدهاء، وله تشعبات واستطالات لا تنتهي. وفي خدمته كل أنواع الرجعية والخيانة والانتهازية في كل بقاع الأرض. الا أنه مع كل هذا لابد له من أن ينتهي وتخمد أنفاسه ويسقط صريع صبر وجلد الانسان الشريف الذي لايقهر أبدا، صريع الحياة التي هي السنّة الوحيدة للكون. ولا بد له من أن يتحول الى خرافة في نهاية الأمر يُلقي بقصتها في آذان أولادنا وأحفادنا من بعدنا المهرةُ من بني الانسان الذين يعرفون كيف يختصرون كل هذه البشاعة بكلمات بسيطة ساذجة تتناسب مع سذاجة ادراك الأطفال. تماما كتلك السذاجة التي لمسناها معا في تلك الأفلام والتي تصور بشاعات الماضي وصبر وشجاعة الانسان بتلك اللوحات الرائعة. وانه لشرف وأي شرف أن نساهم بهذا القسط الضئيل مع الملايين من الناس الشرفاء في الجانب الايجابي من هذه القصص.

ولكم أسعدتني الصور التي رسمتها لي بكتابك لأطفالنا وخاصة منها تلك التي تصفين فيها الحبيب يوسف يحمل شقيقته والحبيب نضال يبني سفينته. ولكم أسعدني نجاح سلام في دروسها. انني عاجز عن التعبير لك عن مدى شوقي اليهم.. فهل يكفي ياترى أن أقول لك بأنني أشتهي تقبيل كل سنتمتر من جسمهم؟.. لكن لنصبر!..

وتسألينني عن الموضوع الذي أشغل نفسي به الآن. انه بصورة عامة يرتبط بالنظرية النسبية وبنظرية الميكانيك التموجي. وهذا الموضوع يتناول في نهاية الأمر المسألة الفلسفية الهامة التي هي مسألة المكان والزمان، ويبرهن بطريقة علمية على أن المكان والزمان شكلان عامان لوجود الواقع المادي وليسا كما هو شائع عند الرجعية منفصلين عن المادة فيمكن مثلا تصورهما خاليين منها. انهما كشكلين عامين للعالم المادي يرتبطان بهذا العالم ارتباط الشكل بالمحتوى فلا يمكن وجودهما الا بمعزل عن المادة. والمادة بطبيعة الحال تفهم هنا بمعناها الفلسفي وليس بمعناها المبتذل، وهي كل ما كان وجوده مستقلا عن تفكيرنا وارادتنا. فالبحث اذن طويل وعويص وصعب، وهو يتطلب نفسا طويلا لاستيعابه أولا ويتطلب نفسا أطول للمساهمة في اكتشاف أشياء جديدة فيه. لذلك عولت على أن أجعل من هذا البحث "شغل العمر" كله فأتناوله كلما سنحت لي الفرص بذلك. وأجد نفسي الآن أتقدم بعض الشيء فيه مما يبعث في الأمل في الوصول الى نتائج هامة.

وبهذه المناسبة أرجوك أن تعملي على ارسال كتاب "الكيمياء العامة" الي. وهو كتاب من جملة الكتب التي استلمتيها مؤخرا. وله جلد كرتوني بلون سماوي ومكتوب باللغة الروسية.

ثم انك لاتخبريني عن أحوالكم المادية. فهل أنتم بحاجة الى بعض النقود أم مازال لديكم منها مايكفيكم حاليا!.. وأكون سعيدا جدا فيما لو أرسلت الي صوركم: صورة جامعة وصورة لكل واحد منكم، وخاصة الصغيرة التي لم "أتشرف بعد بمعرفتها" وأرجوك ياحبيبتي أن تهدي سلامي الى جميع أفراد عائلتينا وأن تقبلي عني الصغار ويدي والدي العزيز وقبلاتي وأشواقي اليك يازوجتي الحبيبة.

حبيبتي سلام

كيف حالك؟ أنا مسرور جدا لأنك نجحت في دروسك، انك بنـــت ذكيـــة ومجتهدة. وقد فرحت كثيرا عندما أخذت الكرت الحلو الذي أرسلته الي في العيد. وعندما سأعود اليكم سأشتري لك لعبة كبيرة ياحبيبتي الـــصغيرة. داومـــي علـــى اجتهادك ولا تنسي أن تكتبي الي كل مرة مع الماما.

بابا

حبيبي يوسف

كيف حالك؟ فرحت كثيراعندما قرأت ما كتبته لي مع الماما، وأنـــا أيـــضا مشتاق اليك كثيرا يا ولدي الحبيب . وكيف حال دروسك؟ وهل كنت تدرس فـــي أيام العطلةأم أنك كنت تتنزع مع أولاد عمك؟ أنا لا أخاف عليك يا ولدي العزيـــز لأنك ذكي ومجتهد جدا. ولا تنس أن تكتب الى البابا دائما.

بابا

حبيبي نضال

كيف حالك ياولدي الحبيب؟ وهل تذهب الى المدرسة أم أنك ما زلت فـــي البيت؟ وكيف حال رفاه الصغيرة؟ عندما أعود اليكم سأشتري لك سيارة الاطفائية الكبيرة. وسأشتري لك صفارة حلوة كبيرة. وسأشتري ليوسف بسكليت بـــدراجتين ولسلام لعبة كبيرة. لكن يجب أن تذهب الى المدرسة ليفرح بك البابا.

بابا

زوجتي الحبيبة

أقبلك بشوق لا مزيد عليه وأقبل أطفالنا بكل حناني الملتهب. وبعد فقد سررت أيما سرور برسالتك الأخيرة التي تخبرينا فيها بأن حبيبنا نضال يذهب الى المدرسة في هذه الأيام وأنه مجد في دروسه.نلك لأن هذه الدروس مفيدة جدا له كي ينجح في العام القادم القريب عندما سيلتحق بالمدرسة الرسمية. وان نجاح حبيبنا يوسف في هذه الأيام يعود ببعض أسبابه الى تلك الأشهر القليلة التي قضاها في هذه الروضة. الا أن الذي يقلق البال هو عدم ميله الى مدرسته بسبب وجود شقيقته الصغرى في البيت. فيجب اذن أن نجد حلا لهذه المسألة بالسعي الى خلق جاذبية **معاكسة** في المدرسة تتوازن مع جاذبية البيت له. وأقترح عليك أن تدرسي هذا الأمر مع مديرة الروضة فهي امرأة طيبة وبإمكانها مساعدتك كثيرا في التغلب على هذه الصعوبة. وانه يكفي شهر أو شهران يواظب خلالهما الحبيب نضال دون انقطاع على مدرسته كي تتملكه هذه العادة الحسنة، وبعدها سوف لا تجدين أية صعوبة معه وستجري الأمور عندئذ على طبيعتها. ثم ان علينا أن لاننسى أن الفشل في تحبيب المدرسة اليه في هذه السنة سيجر نتائج سيئة في المستقبل عندما يحين وقت ذهابه الى المدارس الرسمية. فتتملكه عندئذ هذه العادة السيئة وتضيع الكثير عليه.

وكم سرني نجاح الحبيبين سلام ويوسف في دروسهما. الا أنني لاأخفي عليك "قلقي" بعض الشيء من "التلفزيون"، من أن يصبح هذا الجهاز ملهاة لهما عن دروسهما ووظائفهما. ولا أشك في أنك تراقبين هذا الأمر بعناية. بل ان من الواجب استثمار التلفزيون ليكون مشجعا لهما على إنهاء واجباتهما بسرعة وبشكل جيد قبل أن يسمح لهما بمشاهدة برامجه. وأنا أعلم بأن هذا عبء جديد عليك ياحبيبتي، لكن علينا أن ندفع ضريبة "تقدم التكنيك".

وفي أمسية البارحة استمعت الى خطاب "صاحبنا" بمناسبة افتتاح مجلس الأمة. وانه اذا لم يكن هنالك أي تغير في عقليته وفي طريقته في النظر الى الأمور، فان مما لاشك فيه أن الأمور من حوله وفي المنطقة كلها تتغير في اتجاه الأصلح. فعملاء الاستعمار ينفضحون كل يوم، والاشتراكية كفكرة تتوطد أركانها

في مفهوم ووعي الجماهير، وهذه الجماهير تشتد في إصرارهاعلى انتهاج الطريق الأسلم للنضال ضد الاستعمار، وخاصة منه ذلك الاستعمار الخبيث الذي هو الاستعمار الأميركي. وأنه كي يضطر أناس كالذين يحكمون بلدنا حاليا الى شتم هذا الاستعمار علنا يجب أن يكون هناك تطور كبير جدا في إدراك الجماهير ووعيها لما يدور حولها من أحداث. الأمر الذي ليس في صالح المستعمرين والانتهازيين حتما. ولن تتأخر الجماهير الواعية من أن تأخذ بيديها عما قريب أمورها، فالليل قد طال في بلادنا أكثر من اللزوم وتباشير الصبح أخذت بالسطوع. وأما ماقلت من أن الاخوان ينظرون الى "صاحبنا" على أنه ليس عميلا للاستعمار الأميركي، فانه ليس بالأمر الجديد، ولعلهم معذورون في ذلك بسبب هذا التطور الكبير الذي يحدث في العالم لصالح التقدم، وبسبب ظهور نوع من العملاء سبقوا ببشاعتهم كل صورة يمكننا تخيلها لعميل. الا أنه مما لاشك فيه أن هذا "الصاحب" قد ساهم مساهمة كبيرة في وصول هؤلاء العملاء المسعورين الى السلطة في منطقتنا فارتكبوا ما ارتكبوا من جرائم تقشعر لها الأبدان. وهذا بالضبط ما كان يخطط له ذلك الاستعمار الأميركي اللئيم طيلة السنوات الماضية. وعلى كل حال فان الأيام ستضع بلا شك كل انسان في مكانه الذي يستحقه وستكشف كل ما خفي على الناس من أمور. ومن البديهي أن نعلم من الآن وبدون انتظار مجيء الأيام، أن العدو الأساسي الرهيب هو الاستعمار الأميركي الذي يقف على رأس الجملة الاستعمارية العالمية والذي يشرفنا التصدي له في **صف الاخوان طليعة الانسانية.**

وقد سرني جدا تفاؤل صديقنا الطبيب بشفاء ولده. وأرجوك أن تؤكدي له ان صادفته أن سعادته هي سعادة لي لشدة ما أكنه له من محبة واحترام لطيبته وإخلاصه وسجاياه النادرة. كما سرني نجاح صديقينا في دراستهما في الجامعة وأرجوك أن تبلغيهما تحياتي وتهاني بولدهم الذي أرجو له التوفيق في ظلهما. ثم انك لم تذكري لي أبدا عما تفعلينه أنت بدراستك. فأرجو أن تكوني غير منقطعة عنها. لأن نجاحك بالشهادة سيكون مفيدا جدا لنا في مستقبل الأيام. فلا تتأخري أبدا ياحبيبتي ببذل كل جهد في هذا السبيل.

هذا، وكنت طلبت منك إرسال كتاب الكيمياء العامة، وهو مجلد بلون سماوي ومكتوب باللغة الروسية وموجود بين الكتب التي وصلتك مؤخرا، فهل أرسلته؟ ذلك لأنك لم تذكري لي شيئا عنه في كتابك الأخير. وعلى كل حال فهو سيصلني اذا كنت قد أرسلته. أما من جهة جهاز العرض السينمائي فلا لزوم له، لأن الجماعة الذين أسكن عندهم يملكون مثل هذا الجهاز.

وفي الختام أرجوك أن تبلغي تحياتي الى جميع الأهل وأن تقبلي يدي والدي العزيز عني. وقبلاتي الحارة اليك والى أطفالنا الأعزاء والى اللقاء ياحبيبتي الحبيبة.

سلام الحبيبة

أنا مشتاق اليك كثيرا كثيرا. عافاك ياشاطرة لأنك أخذت في مادة الاملاء عشرة. وأنا مسرور كثيرا لأن جورج يذهب الى المدرسة. فقولي له أن رفاه ستذهب هي أيضا الى المدرسة عندما تكبر. لكن يجب أن يذهب جورج الآن الى المدرسة كي يعلمها كيف يذهب الأطفال الحبابين الى المدارس. وأنا ياحبيبتي لا أقدر على العيش بدونكم. وسوف لا أغيب عنكم كثيرا.

بابا

ولدي الحبيب يوسف

أنا مشتاق اليك كثيرا جدا جدا. عافاك ياشاطر لأنك الأول في الصف. وستبقى دائما الأول لأنك ولد مجتهد فهيم. وقالت لي المام أنك تساعد في إحضار الأغراض من السوق ففرحت كثيرا. وفرحت كثيرا أيضا لأن سلمى تساعد في ترتيب الغرفة، ولأن جورج يذهب الى المدرسة ويجتهد على دروسه. وقالت لي الماما أنك تقرأ قصة روميو وجولييت، فعافاك لأنك الولد الشاطر الذي يحب القراءة.

بابا

ولدي الحبيب نضال

أنا مشتاق اليك ياولدي كثيرا جدا جدا. وقالت لي الماما أنك تـــذهب الـــى المدرسة وأنك تجتهد على دروسك ففرحت كثيرا لأنك ستكون بطلا وستتعلم كـــي تكتب الي مكاتيب. وان الولد الذي لايذهب الى المدرسة ولا يجتهد على دروســـه لايصبح بطلا ولا يعرف الكتابة ليكتب الى أبيه. أما أنت فستكون رجـــلا كبيـــرا وبطلا لأنك مجتهد وتحب المدرسة. وان رفاه عندما تراك تذهب كل يـــوم الـــى المدرسة ستحب هي أيضا المدرسة وستصبح مجتهدة مثلك. وعندما أعـــود الـــيكم سأشتري لك سيارة الإطفاء الكبيرة وسأشتري لك أيضا كل ما تريده لأنـــك ولـــد حباب.

بابا

يا زوجي الحبيب

أقبلك بحنين يطفح به قلبي في هذا الصباح الربيعي العطر.. ان صغارنا بصحة جيدة.. لقد نالت سلام في التقدير الثاني علامات جيدة عن كل المواد.. ونضال أخذ من المعلمة استحسانا عن القراءة والكتابة.. وأما عدم رغبته السابقة في الذهاب الى المدرسة فهو شعور طبيعي، فالطفل في سنه يكون انعزاليا ولا يستطيع تنمية الشعور الإجتماعي والرغبة بمعاشرة الأطفال الآخرين قبل السادسة.. واذا أضفنا الى هذا الأمر عدم جاذبية المدرسة بسبب الإزدحام وجفاف الدروس التي لا تعتمد على إدخال عناصر التشويق والألعاب بالنسبة للطفل فهمنا نفسيته. وهذه الأمور لا تستطيع مديرة المدرسة التي يهمها الربح تغييرها الا اذا ضاعفت قيمة الأقساط وليس في حينا من يدفع للأطفال أقساطا كبيرة.. وهي تبعا لذلك تكثر من الأطفال بشكل لا تستوعبه المدرسة.. وبالرغم من اهتمام معلمة صفه به بصورة خاصة الا أن هذا لايجعل المدرسة أحب اليه بطبيعة الحال من البيت، ومن صغيرتين حلوتين هما رفاه وصفاء ومن الألعاب الكثيرة ومن الإنطلاق بدون درس ولا وظيفة كتابة.. انني في الواقع أنا التي أعلمه فالمعلمة تكتب له سطرين، وأنا أنفق معه ساعتين كي أجعله يكتب دروسه بشكل مرتب وصحيح.. ولكن المدرسة ضرورية لتعلمه النظام وسيتعوده مع الأيام.

يا حبيبي منذ أكثر من أسبوع قدمت شقيقتك الصغرى من أوربا مع طفلتها.. أما زوجها فلقد طلب منه الحزب العودة الى بلده بعد أن أنهى دراسته فذهب هناك سرا.. وأختك ستعود بعد بضعة أشهر الى أوربا لتقدم امتحانها النهائي وستبقي صغيرتها عندنا لأنها سترجع حين تتغير الظروف بالنسبة الى زوجها.. ولقد أخذت حين وصولها الى المطار الى التحقيق كما دقق كثيرا في تفتيش حوائجها، وذهب معها ثلاث من إخوتك الى المباحث حيث بقيت ساعات. وكانوا يلحون عليها أن توقع على بيان بأنها لا تنتسب للحزب العميل الهدام فتقول لهم بأنها ليست حزبية ولكنها غير مستعدة للشتم. ولقد بقيت مصرة على موقفها بالرغم من تهديدها بالإعتقال، فاضطروا الى تركها. والشيء الذي أثار دهشتي هو أنها لم يسألوها أبدا عنك.

زارتنا هذا الأسبوع الصديقة التي يعمل أخوها في أميركا، ولقد سألتني عنك فقلت لها بأنني لا أدري وقالت "نتمنى أن يكون قريبا من هنا" فلم أجب.. وكان يبدو أنها تودّ أن تقول شيئا ولكن الظروف لم تناسب لوجود غرباء.. ولقد حدثنا أن مسؤولا في وزارة الخارجية الأميركية وهو رجل يفضي بما عنده عندما يدور رأسه من الشرب أخبر أخاها بأن لديهم "كونترول" على كل البلاد العربية ما عدا سوريا، وأن النية متجهة لإقامة دكتاتور ذي ميول أميركية لأنهم لا يثقون بحزب قد يضم بين صفوفه عناصر وطنية.. وأخبرتنا أن سوريا تعيش في كماشة وحولها تحاك الأمور لإقامة حلف بغداد جديد، وما التقارب العراقي الباكستاني الايراني، والمصري الأردني الا لهذا.. وأن الوضع الإقتصادي في مصر منهار جدا وإذا قطعت أميركا المعونات المعيشية عن مصر مات الشعب جوعا.. وأن مسؤولا في الحكومة اليمنية كان موجودا في مؤتمر القمة وسأله عن الوضع في اليمن فقال: "نترحم على زمن البدر".. وأنه يحمل عبد الناصر مسؤولية دخول النفوذ الأميركي الى اليمن..

لقد تركت منذ مدة بسيطة التدريس في الجامعة واكتفيت بمدرسة التمريض، والسبب في هذا القانون الموضوع على المحاضرين والذي يجب أن لا تتجاوز تعويضاتهم 300 ليرة شهريا من الجامعة. ولقد فسر لي الأمر في أول العام بأن هذا يحسب سنويا فأخذت ساعات يبلغ تعويضها 450 ليرة حتى أعوض أيام العطل الشهرية، فاذا بالقانون لا يسمح بهذا.. ولقد رجونني أن أعطي الطلاب امتحانا آخر العام فقبلت.. هذا وانني ياحبيبي مستمرة في دراستي وتصلني أسبوعيا المحاضرات فأدرسها وأطالع ما يسمح لي به وقتي من الكتب المقررة وكتب المراجع التي أجدها في المكتبة..

أرسلت اليك الكتاب الذي طلبته مني، وأرسلت اليك قاموسا أيضا لعلك تحتاج اليه.. ومع هذه الرسالة أبعث اليك بالشريط السينمائي لصغارنا.. أما أنا فلست ناجحة فيه فلا تضحك علي.. دمت لزوجتك التي تنتظر لقياك بفارغ الصبر..

زوجتي الحبيبة

أقبلك وأضمك بشوق لا مزيد عليه، وأشكرك على هديتك التي لا تقدر بثمن في ظروفي الحالية. أشكرك على الفلم الذي أرسلته الي. فأنا الآن بهذا الفيلم أتمكن من رؤيتك ومن رؤية أطفالنا الأحباء كل يوم، بل كل ما يتملكني الحنين والشوق اليكم وما أكثر ما يتملكني هذا الحنين. واذا كانت هذه الأيام قد أذاقتني طعم مر العلقم فانها على كل حال علمتني محبتكم وتقدير كل لحظة يمكنني أن أقضيها بينكم. وهذا ما يكفيني لمواجهة كل مصاعبي. ولا بد لهذه الأيام من أن تنقضي ولا بد لشملنا من أن يجتمع للعمر كله، لأن الدنيا في تغير سريع نحو الأحسن.

ولقد سرني جدا موقف شقيقتي من أولئك الأوغاد الذين حاولوا جرها الى شتم أولئك الناس الذين ضحوا ويضحون بكل عزيز عليهم في سبيل سعادة مواطنيهم وسعادة الانسانية جمعاء. فقولي لها أنني فخور جدا بها. كما أن عليها أن تكون فخورة بزوجها البطل الذي يكافح حاليا أبشع وألأم رجعية في منطقتنا، وهو مع صحبه لا بد موفق عما قريب، لأننا نسمع في هذه الأيام "القرقعة" التي تسبق عادة انخساف الأرض تحت أقدام هؤلاء الذين يعيثون فسادا في منطقتنا، وأرجوك أيضا أن تبلغيها بوجوب عدم خوض أي حديث مع أي انسان كان: **قريب** أو بعيد حول زوجها وذلك لسلامته. فآذان الرجعية كما نعلم "طويلة وهي تتصل بآذان المستعمرين وببعضها البعض في كل المنطقة.. قولي لها أن لاتتحدث بالمواضيع السياسية مطلقا مع أي انسان كان، ثم انها على كل حال صموتة فلا يصعب عليها اذن أن تلتزم الصمت.

وكم سرني نجاح حبيبتنا سلام في دروسها، فأرجوك أن تقبليها عني وأن تعبري لها عن امتناني منها وتفهميها أنني كبير الأمل بها وباخوتها. ثم ان الفلم كان **من كل النواحي** ناجحا جدا (على الرغم من قولك أنه غير ناجح من بعض النواحي!..). وقد بدت لي صغيرتنا "المرفهة" بصحة جيدة جدا وبدت لي حلوة جدا. فهل هي حقا بهذه الحلاوة؟..

ونشرت لي صحيفة في هذا الأسبوع القسم الأول من مقال حول مسألة السلم في العالم بتوقيع "الأيوبة" اياه. وسينشرالقسم الثاني منه في الأسبوع القادم. ولا أدري فيما اذا كان صديقنا سيوافيك بالعدد بمجرد وقوع نظره على التوقيع الذي يعرفه بلا شك.

ثم ان مواظبتك على الدراسة سرتني جدا، فهي مفيدة لك ولنا جميعا ولا بد من انجازها بنجاح. لأنه بمقدار ما يكون لدينا من امكانيات مادية بمقدار ما تكون مقدرتنا على مقاومة "النذالة" أشد وأجدى. ويكفي أن أشير في ظرفنا الحالي الى أنك تمكنت من أن تأخذي على عاتقك أطفالنا من كل النواحي المادية والروحية. وأما من جهتي فقد أتممت مراجعة كتاب اللغة التي كنا درسناها معا أنت وأنا فيما سبق، بشكل جيد جدا. اذ أنني أستيقظ في الصباح الباكر وأظل لمدة ساعتين أروح وأجيء في الغرفة وأنا أقرأ وأستظهر الكلمات. الأمر المفيد من الناحيتين: الصحية والعلمية. ومن جهة أخرى أعمل الآن على تحضير مقال علمي في الموضوع الذي سبق لي أن ذكرته لك في كتاب سابق. وانني مسرور جدا من هذه الناحية لأنني، على غير انتظار، ولكن بعد عمل مجهود مضني، حققت تقدما ملحوظا في هذه الناحية. والقضية الآن بالنسبة الي هي بذل مجهود آخر لتبسيط وتقريب هذا الموضوع بالإبتعاد مأأمكن فيه عن المصطلحات الفنية المنفرة وبجعله "مهضوما" من قبل أوسع ما يمكن من جماهير القراء. وكحبيبنا يوسف، ترينني للأسباب الآنفة الذكر أكتب الصفحة الواحدة وأمزقها عددا من المرات قبل أن "أعتمد" على الصيغة النهائية، وهذا من أجل المسودة فقط.. وان نجاحي في هذا الموضوع خفف عني كثيرا من الضغط الذهني، "وبرد أعصابي". وسأوافيك بنسخة منه بعد الانتهاء من كتابته.

وبعد، كيف حال الأهل والأصدقاء؟ أرجو أن تبلغيهم جميعا تحياتي وأشواقي : والدتك وأشقائك وأشقائي. والدكتور وصديقنا الشهم الذي ليس له مثيل بين الأصدقاء وزوجته المحترمة، والصديقة التي ذكرتها لي في رسالتك الأخيرة، فهي وأيم الحق من أطيب النساء وأخلصهن. وأخوها من أطيب الرجال وأخلصهم

وأطهرهم. وقبلي عني يدي والدي العزيز. وكل عام وأنت بخير بمناسبة العيد، وقبلاتي وأشواقي الحارة اليك والى أطفالنا الأعزاء يازوجتي المحبوبة.

حبيبتي سلام

كيف حالك يابنيتي الحبيبة؟ أنا مشتاق اليك كثيرا. وقد أرسلت لي الماما الفلم فرأيتك ورأيت يوسف ونضال ورفاه. أنتم حلوين كثيرا في تمثيل الرواية في الفلم. لكن ماسم هذه الرواية؟ وقد قالت لي الماما أن علاماتك كانت جيدة في كل الدروس ففرحت كثيرا كثيرا. عافاك ياشاطرة لقد صرت صبية تفهمين كل شيء. وستبقين دوما مجتهدة لنفتخر بك ونقول للناس أن لنا بنتا شاطرة وناجحة. وأنا أحب أن أراك في ثياب العيد، فهل عندك في هذا العيد ثياب حلوة؟ والى اللقاء القريب يابنيتي الحبيبة.

بابا

ولدي الحبيب يوسف

كيف حالك ياولدي الحبيب؟ أنا مشتاق اليك كثيرا. وفرحت كثيرا عندما شاهدتك في الفلم تمثل الرواية. ورأيت رفاه أيضا وهي حلوة كثيرا في الفلم. وكيف حال صفاءهل صارت تتكلم باللغة العربية؟. ولا تنس ياولدي أن تكتب الي في المرة المقبلة وأن تقول لي ماذا فعلته في العيد. وأحب أيضا أن أعرف كيف حالك في دروس المعهد الموسيقي وفي دروس مدرستك. وأريد من سلمى كذلك أن ترسم لي رسما حلوا وقد نسيت أن أقول لها هذا في كتابي اليها فقل لها أنت. ودم لأبيك الذي يحبك كثيرا.

بابا

ولدي الحبيب نضال

عافاك ياشاطر . لقد كتبت لي الماما أنك أخذت استحسانا في المدرسة لأنك مجتهد في دروسك ففرحت كثيرا لأنك أصبحت بطلا كبيرا تفهم دروسك. لكن

لماذا لاتكتب لي مثل أخويك سلام ويوسف؟ قل للماما أن تعطيك الورقة في المرة المقبلة عندما يكتب لي فيها أخواك واكتب لي أنت أيضا مكتوب. وأنا لـــم أنـــس سيارة الاطفائية الكبيرة كثيرا ياحبيبي نضال وسأشتريها لك، تكرم عيونك. وماذا تريد أيضا أن أشتري لك غير سيارة الاطفائية؟

وقد شاهدت صورك في الفلم وشاهدتك عندما كنت تلعب أنت وأختك سلام في الحديقة. فرأيت أنك ولد حباب وفهيم. لكنك الآن صرت فهيما أكثر وصـــرت بطلا لأنك أصبحت شاطرا في دروسك. والى اللقاء القريب ياولدي الحبيب.

بابا

ياحبيبي

أترى قد قرب لقاؤنا؟ ان شوقنا اليك كبير.. أقبلك بكل جارحة في هذا العيد وأهنئك.. لقد انتهيت الآن من قراءة مقالك.. لقد كان رائعا حقا، مركزا وعلميا.. ولقد قال من قرأوه أنه أقوى ما كتب حتى الآن في الرد على الصينيين، وانني أنتظر قراءة البقية بلهفة.. ولقد كان طابعك فيه واضحا حتى أن عددا من معارفنا التقدميين سألونا فيما اذا كان المقال لك فنفينا الأمر..

ياحبيبي ان الناس متفائلون من الإتجاه الذي تتطور به الحركات الأخيرة وهم ينتظرون تغيرا في الوضع ويتمونون تهيئا لما قد يحدث، ولقد سمعت من مصدر موثوق أن ستة من الوزراء قد قدموا استقالتهم ومن بينهم وزير الخارجية وهم في العمل مؤقتا.. وسمعت أيضا بأن عرائض تكتب ويوقع عليها المحامون والمهندسون وتطلب تأليف جبهة وطنية.. وأن الحوراني في بيته ولقد طلب منه التعاون في الحكم فرفض..

الصغار في صحة جيدة، ولقد أرسلت اليك مجموعة من صورهم الناجحة، أما سلام وأنا فلقد أخذت لنا صور في الظل فلم تنجح، فلعلي في المرة القادمة أتمكن من إرسال مجموعة أخرى لك.

وليلة العيد كنا على العشاء وقلت للصغار سنكتب رسائل لبابا واذا بسلام تهمس لي "ماذا تفعلين اذا بابا رأى واحدة أحلى منك وتزوجها؟" فقلت لها باسمة "اطمئني، بابا لا يفعل ذلك أبدا ولا يتركنا"، وسمعنا نضال فضرب الأرض بقدمه الصغيرة وقال غاضبا "بابا بدو يتركنا؟" وأضحكنا جميعا.. وأخذ يوسف يضحك ويقول له "يا مجدوب، بابا بيحب ماما من قلبه، وبيحبنا كتير ما بيتركنا" وكان يشد على كلمة "من قلبه" ليدل على مدى عمقها. وقالت عمته ص. "الله يحرمه العافية اللي حرمكم من أبوكم وحرمه منكم". وسألت نضال "ماذا ستكتب له أنت؟ سيفرح كثيرا برسالتك" فقال "قولي بابا الحبيب" –"وبعدين؟" – "ما بعرف شو بعدين، أكتبي الباقي.."

أختك الصغرى ستسافر بعد العيد للتحضير للإمتحان.. أخبرتني أن أصدقاءنا هناك جميعا بخير وهم يسألون دائما عن أحوالنا. ولقد أرسلت مدام كاترين للأولاد هدايا ألعاب، وبعثت أنا أيضا هدايا للجميع.. ولقد حزنت لخبر واحد من طرفهم وهو وفاة "آي " صديق نضال الطيب القلب..

ويبدو أن سفر أختك سيلقى بعض الصعوبات اذ أن معاملة الفيزا تماطل، وعندما ذهبت الى الأمن العام مع أخيها أراها الموظف وهو من معارف أخيك القدماء إضبارة كبيرة وقال "انكم تشغلون العالم.. أنظري الى هذه الإضبارة الضخمة لعائلتكم، وهي مفروزة وحدها في الخزانة لتكون دائما تحت الطلب!..". فترى أية افتراءات جديدة تحوي هذه الإضبارة؟ فليس في حياة العائلة البسيطة وواقعها ما يستوجب ملء هذه الصفحات..

وعندنا في البيت ابنة أخيك مع طفلها وقد جاءت لزيارتنا، والمنزل غاص بالصغار الذين يمرحون ويتشاجرون طوال النهار..

لست أدري فيما اذا كنت قد أخبرتك برسالتي السابقة بأن أهلي انتقلوا الى المنزل الجديد في ركن الدين، وهو يطل على بساتين الغوطة ولقد ذهبنا جميعنا لزيارتهم البارحة. ووجدنا هناك الصديق الذي يحمل رسائلنا وزوجته، وكان إعجابه كبيرا بمقالك الأخير، وزودنا بنسختين من المجلة التي تنشره..

عيدنا يفتقد وجهك الحبيب، وأتمنى أن لا يطول عيدنا الحقيقي، يوم عودتك سالما يا حبيبي الحبيب.

يا زوجي الحبيب

أقبلك بحنين يعصف في صدري ولا أستطيع أن أعبر عنه الا بدموعي. كم أشتاق أن أراك ولكنني أكاتم رغبتي خوفا عليك وعلى رفاقك اذ أذكر ذلك الفلم الذي رأيناه معا وكم ترتب على رؤية الزوجة زوجها من مآس في ظروف صعبة كظروفنا.. ولكنني طرحت إمكانية هذا الأمر اذا لم يكن هناك من خطر البتة، حين وجدت أن الصديق الذي يحمل رسائلنا قد استعار سيارة قديمة يستعملها في روحاته وجيئاته.. والبارحة تلفنت الي زوجته وفهمت من حديث متفق بيننا بأن هناك خبرا منك، وبما أن رسالة العيد قد وصلتني منذ بضعة أيام خيل الي بأنك نفسك قدمت، ولست أدري كيف أعبر لك عن مشاعري.. كنت متعبة من تحميم الصغار في الصباح ولدي أربع ساعات تدريس بعد الظهر وحنجرتي مصابة بالتهاب، من رشح عارض، وحرارتي مرتفعة قليلا ولم أدر كيف أمضيت الوقت وأنا أكافح ضعفي ورغبة قلبي في الشرود اليك، وحين جلست في الباص أحسست بأطرافي تثلج فجأة وابتسمت لنفسي "لست أريد سوى أن أنظر في عينيك وأتزود منك بالقوة لاحتمال فراق ايام أخر ريثما يجمع الله شملنا. ولست أدري كيف كانت خيبتي حين لم أرك، ولما أسلمت رسالتك الثانية والنقود لم أستطع أن أحتمل توتر الإنفعالات في نفسي فانفجرت بالبكاء، ولقد خجلت كثيرا من دموعي، ولست أدري كيف فسرها الصديقان. لقد خيل الي بأنك تشعر بأن عودتك لن تكون قريبة فتطلب مني أن أشتري للصغار هدايا حتى لايطول انتظارهم.. وخيل الي أنك ترهق نفسك وأنت تفكر بأمر معيشتنا.. ياحبيبي، ليطمئن بالك علينا. اننا نستطيع أن نقاوم تلك الظروف السيئة الى ابعد مدى ولكنني أرجو أن لا يطول بعدك عنا، لأننا وان كنا نحفظ حياتنا المعيشية الا أن فراقك قد جعل حياتي وحياة الصغار تافهة لا معنى لها، وأحدث فراغا مريعا لا يمكن أن يعوضه شيء..

لقد قرأت بقية مقالك عن السلم.. كنت موفقا جدا فيه.. وكثيرون ممن قرأوه كان لهم نفس الرأي.. الا أن البعض ممن يحبونك يقولون بأنهم كانوا يفضلون أن لاتتدخل في ذلك النزاع بين الجانبين وأن تبقى ذلك الرجل الوطني الذي يهتم

بالدرجة الأولى بقضايا وطنه، وبقضية السلام بحيث لا يتبنى معها وجهة نظر معينة..

في البلد شائعة أنك عدت الى البيت، ولقد سمعتها أختك من عدة مصادر، والناس يستأنسون بها.. ولعل مردها أن بضعة أشخاص ممن كانوا ملاحقين عادوا الى بيوتهم.. والناس يتساءلون ما هي الضمانات لاطمئنانهم هذا وماذا يعني؟ ولقد زارتنا منذ أيام زوجة أحدهم، ولكنها لم تجدنا في البيت وسنرد لها الزيارة عن قريب واستفهم منها عن هذا الأمر.

منذ بضعة أيام احتفلنا بعيد ميلاد صغيرتنا وذهبنا الى أشرفية الوادي حيث أمضينا نهارا ممتعا قرب نهر متدفق. وكنت أذكرك في كل لحظة من لحظات ذلك النهار وأذكر أيامنا الحلوة، يا حبيبي، يا رفيق حياتي، فمتى متى يكون لقاؤنا؟

سرني أن الفيلم قد أعجبك.. سيقص عليك يوسف قصة الفيلم.. أما صغيرتنا فانها اليوم أحلى مما شاهدتها في الفيلم.. قبلاتي اليك ياأحب الناس ويا أصدق الناس، وسأترك للصغار أن يملأوا لك الصفحة الأخرى.

بابا الحبيب

هذه قصة الفيلم

شخصيات الرواية

الملكة الأولى سلام

قطر الندى وهي صغيرة رفاه

قطر الندى وهي كبيرة سلام

الملكة الشريرة مي

حارسا الملكة نضال وعمر

الملك ابن خالة مي

الحارس يوسف

الأمير يوسف

مختصر الرواية

في يوم شتاء كانت الملكة جالسة قرب النافذة تطرز فوخزت إصبعها ونزل الدم على الثلج الذي على النافذة فقالت ياليتني أنجب طفلة تكون بيضاء كالثلج وشعرها أسود كإطار النافذة ووجنتاها كالدم . وولدت الملكة طفلة سمتها قطر الندى ولكنها ماتت وتزوج الملك امرأة شريرة أخذت تعذب قطر الندى وتضربها.

وعندما أصبحت قطر الندى كبيرة صارت جميلة جدا. وسألت الملكة مرآتها المسحورة يامراي يامراي مين أجمل مني؟ أجابت المرآة ياملكة أنت جميلة ولكن قطر الندى أجمل منك. غضبت الملكة كثيرا وبعثت الحارس ليقتل قطر الندى ويحضر لها دمها. أشفق الحارس على قطر الندى وتركها نائمة في الغابة ثم

قتل خنزيرا وجاء بدمه الى الملكة وعندما استيقظت قطر الندى ذهبت الى كـوخ هناك كان بيت الأقزام السبعة ونظفته وعاشت فيه مع الأقـزام . سـألت الملكـة مرآتها المسحورة عن قطر الندى قالت لها أنها في بيت الأقزام في الغابة، طلبـت الملكة من طبيبها سما فأعطاها مخدرا وضعته على التفاح ولبست لباس عجـوز وذهبت الى بيت قطر الندى لتبيعها التفاح . اشترت قطر الندى منها التفاح فأكلت واحدة فأغمي عليها وظنها الأقزام ماتت فوضعوها في صندوق من الزجاج وكان أمير يصطاد فرآها وأحبها وباسها فاستيقظت وقال لها الأمير تزوجيني قالت نعم.. نعم.. وتزوج الأمير من الأميرة .

بابا الحبيب

هذه قصة الفيلم

أنا مشتاق اليك كثيرا يابابا الحبيب. وفي العيد خيطت لي أمي طقمـا مـن الجوخ البترولي وطرزت عليه مرساة باللون الذهبي

يوسف

بابا الحبيب

أنا مشتاقة اليك كثيرا.. ان رفاه صارت تطلع الدرج لوحدها وتقول تعي.. تعي.. وفي عيد الأضحى نسجت لي عمتي فستانا أخضر فـستقي وخاطـت لـي الماما فستانا أبيض من القماش المطرز وفرحنا كثيرا بالعيد وفي يوم عيد مـيلاد رفاه ذهبنا الى قرب النهر..وأكلنا تبولة ولحم مشوي وكبة ورفاه لـم تـستطع أن تطفي الشمعة وكانت تريد أن تمسكها بيدها.. يابابا الحبيب هذا اليوم نحن نـستعد للامتحانات وأردت أن أكتب لك أشياء كثيرة، ولكن دروسي كثيرة . فـي المـرة الثانية سأرسم لك صورة حلوة يابابا..

أنا أحبك كثيرا يا بابا.. ولا أستطيع أن أعيش بلاك يابابا

سلام

بابا الحبيب

أنا أحبك كثيرا ومشتاق اليك كثيرا. بدي سيارة إطفائية الها زمور، وكمان بدلة عسكرية وفرد مو خطر واله كمر منشان الفرد ونظارات سود.

نضال

زوجتي الحبيبة

أقبلك وأبثك أشواقي وحنيني الذي لايوصف اليك. وبعد فأشكرك شكرا جزيلا على الصور التي أرسلتها الي مؤخرا فقد أنست وسررت بها أيما سرور في عزلتي الصعبة. فالأطفال يبدون فيها بصحة جيدة : تبدو سلام صبية حلوة. وتظهر "ثغرة" يوسف الضاحكة وهو يبتسم، وتتجلى براءة نضال وحلاوة الصغيرة. أما صفاء فانها تشبه أباها بدرجة كبيرة. لكن ما هو لون شعر رفاه؟ انه يبدو لي كلون شعر سلام أليس كذلك؟.

ولكم أحزنني وفاة ذلك الرجل الطيب "آي" حتى أنني لم أتمالك من ذرف الدموع عليه. ولقد تذكرت نظراته النفاذة الصافية الوديعة، وتذكرت صداقته وصحبته الطويلة لجورج، وكيف كانا يجمعان "السليفي" ل "الفينو". وتذكرت على الأخص تلك اللحظة التي وقع فيها على الدرج وكان "جوشو" الى جانبه فانفجر عندئذ بذلك البكاء الذي يقطع القلب الصوان. انك تذكرين جيدا تلك اللحظة يا حبيبتي. لقد كانت جديرة بأبرع رسام يخط بها حب الانسان للانسان. وكم أثلجت عبرات الطفل البريء قلب ذلك الشيخ الطيب في تلك اللحظة، وكم أثرت هذه العبرات في تخفيف التوتر بينه وبين زوجته بحيث خف "تشاحنهما" بدرجة ملحوظة منذ ذلك اليوم. ثم هل كتبت الى زوجته كلمة تعزية؟ فان كنت لم تفعلي بعد فأرجوك أن تكتبي اليها وتبلغيها حزننا العميق وتعازينا الخالصة. وصديقنا الذي يسلمك هذه الرسالة كفيل بوضع ما ستكتبينه الى "الينكا" في الطريق الجيد.

وتأسفت أيضا بالغ الأسف لما سببته لك من مشاغل فكر عندما طلبت منك باقتضاب وبدون شرح أن تشتري هدايا للأطفال. فأنا مثلك ياحبيبتي بغاية الشوق واللهفة الى لقائك. وأشعر بأن هذا اللقاء لن يكون بعيدا كما توهمت من كلمتي السابقة اليك، لأن الأمور على ما يبدو تسير نحو الانفراج. وهي، أي الأمور، على كل حال أفضل بما لايقاس بالنسبة الى ما كانت عليه قبل بضعة أشهر. واذا كنت قد طلبت اليك شراء الهدايا للأطفال فذلك بسبب توفر الدراهم اللازمة وبسبب أن صبر الأطفال ليس كصبرنا وخير البر عاجله بالنسبة اليهم.

وتقولين أن بعض الأصدقاء المحبين لا يريدون لي التحيز الى أحد فريقي النزاع الحالي في معسكر التقدم. وأنا أفهم تماما وجهة نظرهم بوضع مصلحة بلدنا قبل أية مصلحة أخرى. الا أن هذه المصلحة بالذات هي التي يجب أن تدفعنا الى أن نسلك الطريق الصحيح في كل قضايانا. ولا يمكننا والحالة هذه أن لاننحاز الى جانب ذلك الشعب العظيم الذي يعاني، على قدرته وجبروته، كل تلك الحرمانات الكبيرة في سبيل بناء السدود والمصانع في بلادنا وبلاد غيرنا من العالم المتخلف، وفي سبيل الدفاع عن السلم وإنقاذ البشرية من حرب يكون الجحيم الى جانبها مجرد فرن بسيط "لشي العصافير"!..ان الصينيين يرتكبون غلطا فادحا بسلوكهم طريق التجزئة التي أفادت الاستعماريين أيما فائدة والتي سببت أيضا الكثير من الآلام التي نعانيها حاليا. فعسى أن ينتهوا وعسى أن تعود الوحدة الى قوى التقدم لأنها الطريق الأقصر الى القضاء على أبالسة الاستعمار.

أرجوك أن تقبلي عني يدي والدي العزيز وتسلمي على جميع الأهل، وقبلاتي وشوقي الى عناقك ياحبيبتي الحبيبة.

ياحبيبي

كيف حالك ياحبيبي؟ يلح علي خيالك حين أقرأ وحين أسرح ناظري في ذرى شجر الزيتون وحين أصغي الى أغاني أم كلثوم.. وفي هذه اللحظة أشعر بهذا الحنين الطاغي اليك يكاد يفجر صدري.. كيف أنت وكيف صحتك، ومتى تنقضي هذه الأيام التافهة التي تحسب في أعمارنا ولا نعيشها؟ لكم أشتاق الى يدك الحنونة تلامس وجهي، لكم أشتاق أن أقبلها.

ويثور غضبي على الأشقياء الذين يحولون بيني وبينك، وبينك وبين أسرتك وهم أحوج ما يكونون اليك.. لقد انتقلت منذ أوائل هذا الشهر الى بيت أهلي، وفضلت هذا لحاجتي الماسة الى جو أتابع فيه دراستي.. وبالرغم من صغر البيت الا أن له شرفة واسعة تحيط به من جانبين وتطل على البساتين.. والمنزل من المدخل طابق أول ومن الجهة الخلفية والجانبية مرتفع مطل على البساتين، والشرفة مسورة ولا خطر يتهدد صغارنا العفاريت.

أخذ يوسف وسلام جلاءيهما وكانا متفوقين في صفهما وسجل اسم جوزيف بالسجل الذهبي. ولقد نظمت أوقاتهما في هذه الفرصة فهما يذهبان صباح كل يوم الى المعهد الموسيقي للتدريب، وبعد الظهر يطالعان في قصص الأطفال.. وقرآ حتى الآن مجموعة لا بأس بها، ويذهبان في بعض الأحيان الى المركز الثقافي مع خالهما للمطالعة.. وفيما تبقى من الوقت ينصرف الصغار جميعا الى لعبهم.. وقد أفردت لهم مكانا على الشرفة فيرتبون بيت اللعب ويخترعون القصص ويمثلون والى هذا يستنشقون الهواء النقي أكثر أوقات النهار.. وانني ألاحظ أن صفاءهم وانسجامهم يغلب على شجارهم وأنهم طيعون ومهذبون أكثر.. وما كنت من قبل لأستطيع أن أكبح جماحهم بسبب تأثيرات أبناء عمهم عليهم، وكانوا أحيانا يتصرفون بحماقة تقرب من الخطورة.. ففي مرة ذهبت سلمى الى بيتهم دون اذن مني وكان والدهم قد أقفل الباب عليهم فأغراها ابن عمها على أن تصعد الى السطح، وأنزلها الى الشرفة وهو متعلق بمظلة الشرفة ومستند الى الدرابزين، وكان من الممكن أن تهوي وإياه من الطابق الرابع، وشاهدهما الجيران وشكوهما لنا.. هذا وكثيرا ما كان جورج يخرج من المدرسة مع ابنة عمه ويذهبان الى

البساتين ويبقيان الساعات الطويلة ونحن نبحث عنهما.. وفي تلك الصحبة كنت أجد صعوبة كبيرة لأحثهم على الدرس حتى أن سلمى كانت تتمرد فترة بعد فترة تريد ترك المعهد الموسيقي لتتخفف من الواجبات.. وفي البيت كانت علاقتهم مع الفتاة التي عندنا سيئة للغاية، شجار وتلاسن على الدوام لأبسط الأسباب، تعاكسهم بسبب ما يخلقونه من فوضى في لعبهم وهي تجد نفسها مسؤولة عن الترتيب فلا تتساهل معهم.. انك تذكر كيف كانت تتهدد جوشو بأن الله سيحرقه في نار جهنم، وكيف جاء اليك يتساءل عن هذا الإله الغريب الذي يسمع به مجددا "بابا، هل الله جئب؟" وكيف ضحكنا كثيرا لأنه لايزال يلفظ الذال جيما، وكيف بقيت معه تعطيه الصورة الأخرى لله، والخير الذي يحمله للناس. ان جورج أصبح اليوم لايخشى مثل هذا التهديد. انه يرد عليها بأن بابا سيشتري له سيارة الاطفائية، وأنه سيطفئ كل نار بخرطوم الماء مثل الفيل الصغير الذي أقص قصته عليه.

هذه الأسباب هي التي دفعتني لتغيير إقامتي بالرغم من كل الرعاية التي كنت أحظى بها في بيت عمي أنا والصغار وخصوصا من عمي الذي كان يعزني بشكل خاص، والذي كنت أتجاذب واياه الأحاديث والذكريات عن أيام فرنسا فكنت أجد في أحاديثه وجرأته الأدبية بعض العزاء عما يصيبنا في هذه الأيام. أما هنا فكل من في البيت يستعد لامتحان.. ووجد الصغار حوافز جديدة لمطالعة القصص، وكثيرا ما يساعدوننا أيضا، فتجد سلمى ويوسف يقرآن النوتة لخالتهما عندما تكون مشغولة في عمل يدوي مضطرة اليه وهما أثناء ذلك يسألان الأسئلة وتتوضح لهما الكثير من الأمور. ويذهب يوسف مع جدته لشراء الأغراض، ويحسب لها مجموع ما أنفقت.. هذا وتدهشني كثيرا القدرة الهائلة للتعبير والذاكرة الصافية التي يملكها يوسف فحين أقص قصة لنضال ويكون يوسف قد قرأها بنفسه أنسى أو أختصر بعض التفصيلات فينبهني اليها. وليس هذا فقط بل بجمل فصيحة كأنما يقرأها من الكتاب.

بابا الحبيب

أنا مشتاقة اليك كثيرا كثيرا ويا بابا "آي " توفي. وان رفاه صارت تمشي وتقول كلمات جديدة هي تاكل – وهاتيها. وتقول لصورتك العزيزة تعى بابا تعى بابا. وفي يوم من الأيام كنا نأكل ورفاه معنا تأكل فخلص صحنها فقالت تألك تألك. في يوم من الأيام جاءت لعندنا زنوبيا فحبها نضال وقال إنها خطيبتي ويوسف أحب صفاء وحط في اصبعها خيط بدل الخاتم وأودعك يابابا الحبيب.

سلام

ملاحظة: أبعث اليك بهذه الصورة من رسمي وهي فصل الربيع عند المساء.

* * *